
الصحوة الإسلامية
عودة إلى الذات
تأليف
د / مصطفى حلمي
Al Amal

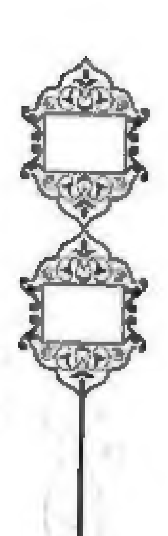
الصحوة الإسلامية

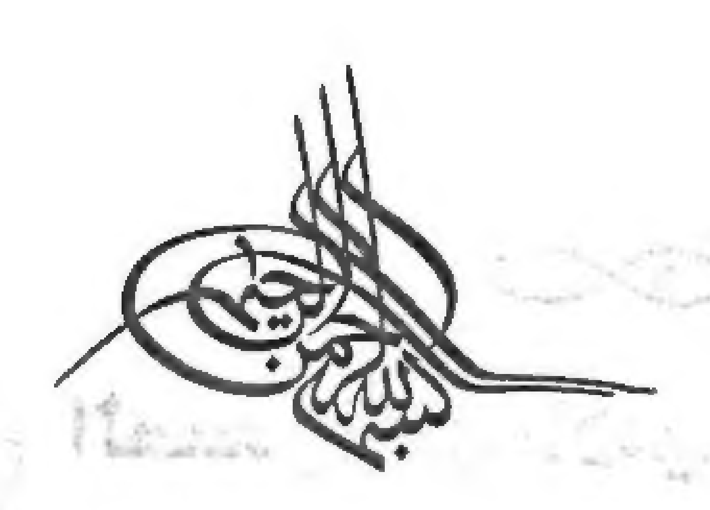
عودة إلى الذات

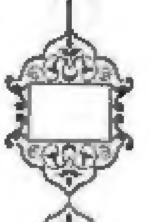
د/ مصطفى حلمي

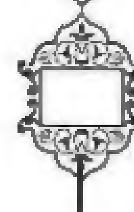
أستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة



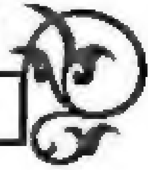






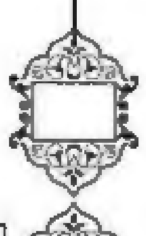


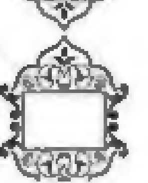
رقم الإيداع



٢٠١٠/١٧١٥







www.alamal-publications.com

بجوار مسجد محمد بن عبد الوهاب - محطة ترام باكوس - الإسكندرية

ت: ٠١٠٠٢٨٢١٦٦٠ - ٠١١١٨١٩٤٨٠

الصحوة الإسلامية
عودة إلى الذات

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

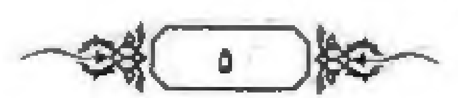
أما بعد . . .

فنحن نتوقع بروح التفاؤل ازدهار حركة الصحوة الإسلامية واستمرارها في المستقبل بمشيئة الله تعالى ، حقًّا أنه لا يعلم الغيب إلاّ الله ﷻ ، ولكننا نستمد تفاؤلنا من التعرّف على نتائج بعض التجارب الأليمة التي مرّت بها أمتنا على مدى القرنيْن الأخيريْن ، وخرجت منها سالمةً بل نفضت عن عينيها نعاس النوم وأخذت تستيقظ فمنها :

أولاً : (أن المستعمرين لم يتمكنوا من إزاحة عامة المسلمين من طريق الإسلام طول مدة استيلائهم على البلاد الإسلامية على رغم جهودهم في هذا الغرض . لا شك أن المستعمرين قد أطبقوا عليهم الجهل ، وعكروّا صفو أخلاقهم الزكية ، ونفذوا فيهم قوانينهم المستوردة بدلًا من أحكام الإسلام ، وجعلوهم متعودّين على حياة غير إسلامية إلا أنهم ما استطاعوا إثارتهم ضد الإسلام وتقاليده ، والدليل على ذلك هو أن عامة المسلمين حتى الساعة مازالوا مولعين بالإسلام كما كانوا في الماضي ... إن الأقلية القليلة من المفتتنين بالحضارة الغربية قد أُخذوا ببريقها وآمنوا بقوانينها ، ونظمها الوضعية ، إلاّ أن عامة المسلمين لا يؤمنون إلاّ بالإسلام ، ولا يطالبون إلا بتطبيق قوانينه في بلادهم) [1] .

---

(1) أبو الأعلى المودودي (واجب الشباب المسلم اليوم) صـ ١٢ ، ١٣ .



ثانيًا : فشل الجرائم التي ارتكبها أتاتورك اليهودي الدونمي وهو أحد طغاة العصر ، إذ فاقت جرائمه ضد الإسلام والمسلمين الجرائم التي ارتكبها جينكيز خان ملك التتار ، وكان من المتوقع انحسار الإسلام من تركيا وخُيِّل للذين تابعوا خططه الشيطانية أنه لن يقوم للإسلام قائمة ، ولكنه خاب وخسر ، ومات في أسوأ حال .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢] .

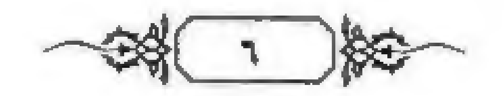
ولو عاش ورأى عودة الإسلام إلى تركيا لعضّ أصابع الندم ومات حسرةً وكمدًا ، فها نحن نرى كيف استردّ الشعب التركي عافيته بعد التضحيات الجسيمة ، بقيادة الإمام الشيخ سعيد النورسي ﷺ تعالى ، وعجز القهر القاسي الذي مارسه أتاتورك والعسكر من بعده ، عجزوا عن اقتلاع الإسلام من قلوب الأتراك .

يقول الأستاذ محمد جميل بيهم في وصف زيارته لتركيا سنة ١٩٥٥م [استبان لي أن العلمانية ما استطاعت أن تزيح الإسلام هناك لتحل محلّه ، كما أن الطورانية ما كان بوسعها – من قبل – أن تفصل الأتراك عن الجامعة الإسلامية] .

و(الواقع أنه ما إن مات أتاتورك حتى أخذت السفينة تتحول تدريجيًا في مجراها ومرساها شطر الإسلام بتأثير مبادئه الراسخة في أعماق قلوب الشعب ، تلك

المكتب الإسلامي – بيروت بدون تاريخ .

والكتاب يتضمن محاضرة ألقاها الأستاذ المودودي أمام جمع من الشباب في مسجد الدهلوي بمكة المكرمة أيام الحج ١٣٨١ هـ .



المبادئ التي لم تتبدّل إلاّ في الناحية السياسية، ولم تتغير إلا في المظهر).

وقد أعاد الرئيس عصمت إينونو تعليم الدين في المدارس (فكان عهده بمثابة فتح ثغرة في صرح العلمانية القائمة ينفذ منها الإسلام إلى جهاز الحكم تلبيةً لإرادة شعب لا يزال الدين مستقرًا في قلبه ونفسه استقرار تقاليده وأخلاقه).

وتأيدت هذه الحقيقة بفوز الحزب الديمقراطي بقيادة جلال بايار – دون حزب الشعب الذي أسسه أتاتورك – وكان سبب فوزه أنه أعلن برنامجه إذا فاز في الانتخابات سيعيد الأذان إلى اللغة العربية، وسيرفع الحظر على الراغبين في الحج، وسيرجع إلى المدارس التعليم الديني سيرته الأولى، هذا فضلًا عن المحافظة على عروبة القرآن، وكان هذا بمثابة استفتاء شعبي أن ممارسة النظام للعلمانية مدة تناهز ربع قرن [1] لم تستطع أن تقضي على نزعة الأتراك الإسلامية.

ثالثًا: اتساع رقعة الصحوة الإسلامية بالرغم من الحرب الطاحنة المعلنة عليها بالإعلام والقوانين المقيّدة للحريّات، وحملات التشهير، وبخاصّة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، تلك التي تحيط بها الكثير من الأكاذيب المختلقة والروايات الملفقّه إذ برهن كثير من الباحثين أن وراءها مخطط معدّ مسبقًا لتوحيد الشعب نحو هدف غزو أفغانستان [2].

---

(1) محمد جيل بيهم (العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب صـ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، المطبعة الوطنية – بيروت ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

(2) وقد توالى ظهور كثير من المؤلفات والبحوث والدراسات تطعن في الرواية الرسمية لأحداث ١١ سبتمبر، وكلها تستند إلى أدلة وبراهين بحيث تجعل القارئ أكثر اقتناعًا بافتعال هذه الأحداث افتعالًا لتبرير ما استتبعها من حروب وإجراءات لتضييق الخناق على المسلمين بمصادرة أموالهم والقبض على بعضهم بغير =

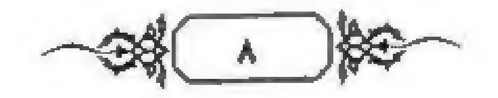


رابعًا : الصحوة الإسلامية في ازدهار :

إن نظرة مقارنة لأحوالنا الاجتماعية والثقافية والسياسية الحالية وبين هذه الأحوال منذ قرن من الزمان تجعلنا ندرك أن التغييرات إلى الأفضل . حقًا إنها تغييرات ربما تبدو ضئيلة للعين المتسّرعة ، ولكن مع التصميم على التقدّم نحو الأفضل فإن الزمن في صالحنا ، وذلك بعد اندحار الاستعمار العسكري وانحسار الماركسية ، ونرى مظاهر الازدهار في التطورات التالية :

فمنذ مائة سنة كان الاستعماران الانجليزي والفرنسي يطوّقان العالم

جرائم اقترفوها وكبت حرياتهم تحت شعار محاربة الإرهاب ، وهذا الاسم الحركي للمقصود وهو الإسلام .
وكان الفيلسوف الفرنسي رجاء جارودي من الباحثين بدراية وعمق لأسرار ١١ سبتمبر بكتابه (الإرهاب الغربي) وخلص إلى وصفها بأنها خيانة عظمى - ومؤامرة - كما رأى أنها ليست المرّة الأولى التي تُنظّم المخابرات المركزية الأمريكية وعسكريون في مناصب عليا ومسؤولون سياسيّون مثل هذه الإثارة لإجبار الشعب على القبول بفكرة ضرورة القيام بحرب إبادة ، وقد أسّس هذا الحكم بناءً على العوامل الآتية :
أ- أن عملية بهذا الحجم وبهذه الدقّة لا يقوم بها إلا طيارون محترفون .
ب- أن أي عمليّة ناجحة كهذه تقتضي معرفة تامّة باللوائح والثغرات في سماء يراقب الأمن العسكري كل متر مربّع فيها .
جـ- لم تتدخل الطائرات العسكرية - وهي دائمة مستعدة للإقلاع - للقضاء على أي طائرة مشبوهة .
د- تمتع أمريكا في مجال أبحاث مكافحة خطف الطائرات بنظام يتيح شلّ حركة الطيران في الطائرة المستهدفة ... وكان كل شيء مخططًا عن طريق التحكم من بعد (جارودي : « الإرهاب الغربي ») جـ١ صـ ٩ تعريب د/ داليا الطوخي ، ود/ ناهد عبد الحميد ، د/ سامي مندور ، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
ويقول الدكتور جلال أمين (وبينما يشكّك كتّاب فرنسيون وألمان في القصّة كلها ، وقال بعض القانونيين الإنجليز أن ما يُقدّم على أنه أدلّة ضد هؤلاء السعوديين والمصريين التسعة عشر ، هي من الضعف بحيث لا تكفي حتّى لتقديمهم للمحاكمة ، ناهيك عن إدانتهم ... ويرى هو شخصيًا أن جزءًا كبيرًا مما تقوله وسائل الإعلام يتعارض تعارضًا صارخًا مع المنطق السّليم .
د/ جلال أمين (عصر التشهير بالعرب والمسلمين) صـ ٧٥ ، ٣٧ ، دار الشروق ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .



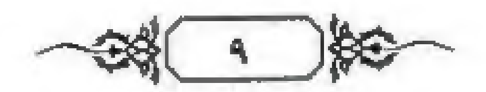
الإسلامي ، واحتل الروس البلاد التي كانت تابعة للخلافة في أوروبا الشرقية فوقعت بأيدي الروس وفُرض على المسلمين الإلحاد القسري وحيل بينهم وبين أداء شعائر دينهم .

والآن ، نلاحظ انتشار التعليم والارتفاع الآخذ في الزيادة في أعداد المدارس والجامعات والإقبال على التديّن عقب هزيمة القومية والماركسية وفي أعقاب الهزيمة الكارثة في يونيو سنة ٦٧ والمراقب يرى زيادة أعداد الشباب المتديّن وتعمير المساجد في صلوات الجماعات والجمع ، والالتزام بالسلوك الإسلامي في الزي بين النساء والفتيات ، والإقبال المنقطع النظير على رحلات العمرة والحج ، وتجاوب أقطار الإسلام بين الشعوب الإسلامية مع محن إخوانهم في أفغانستان وفلسطين والعراق وكشمير والشيشان والبوسنة والهرسك ولا ينقصها إلا القيادة والسياسة المخلصة التي توظّف ذلك كلّه في خدمة قضايا الأمة .

كذلك يُلاحظ اتساع حركة تأليف الكتب الإسلامية مع إعادة نشر كتب التراث وتحقيق المخطوطات في كافة قضايا الدين : العقيدة والعبادات والشريعة والتفسير والحضارة والتاريخ والتصوف والأخلاق والفقه وأصوله والتراجم وكتب السنّة والسيرة النبوية ، وما لا يحصى من فروع المعارف الإسلامية .

أما طبعات القرآن الكريم فيتعذّر الإلمام بعددها في كافة أنحاء العالم الإسلامي ، وهي من أظهر معالم الصحوة .

ويمكن القول بأن هذه المؤلفات والمصادر في مجموعها تعبر عن القلب الجمعي للأمة ، كما أنها تمثل أساس حضارتها بأصالتها وهويّتها وجذورها التاريخية الممتدة عبر القرون ، كما أنها بمثابة القوى الوجدانية الكامنة في أحشاء



الأمة وستظهر آثارها بالعمل بها إن آجلًا أو عاجلًا ، فالمستقبل لنا بإذن الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] .

وقال تعالى : ﴿ ... فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ من [من آية ٤٧ : الروم] .

❀ ❀ ❀

وختامًا أسأل الله تعالى أن ينتفع القرّاء بهذا الكتاب ويفيدهم بالاقتناع بأن الله ﷻ ناصر جنده إذا أخلصوا القول والعمل في سبيله مهما اعترضتهم العقبات .

ولابد لي من الاعتراف بأن ما خططّته بقلمي ووُفقّت فيه ، فإنه من فضل ربّي عليّ وإكرامه لي ، فله الحمد كلّه وله الفضل كلّه وله الثناء كلّه ، وأما أخطائي فإنها من النفس والشيطان ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

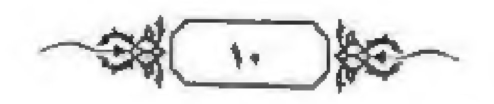
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلّ الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

مصطفى بن محمد حلمي

٢٦ من ذي الحجة ١٤٣٠هـ

٢٠٠٩/١٢/١٣م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

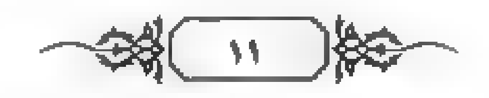
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد، فعندما ظهرت (الصحوة الإسلامية) وأخذت مكانتها العالمية، جذبت الأنظار في الشرق والغرب فصدر العديد من الكتب، والمئات من البحوث والدراسات لاستكناه الصحوة ومعرفة أسبابها ومراميها، وتحليل عقائد فصائلها واتجاهاتها، ومحاولة استطلاع التوقعات في المستقبل.

ولا يخفى أن الدوافع وراء هذا الاهتمام أهداف سياسية كتطويق الصحوة وإعاقتها، أو احتوائها وإجهاضها إن أمكن، إذ تشترك في الحرب الباردة ضد المنطقة العربية موسكو وواشنطن وإسرائيل والإرادة الأوروبية أيضًا)[1].

ولعل أول ما يثير دهشتنا أن ظاهرة العودة إلى الدين، لا تقتصر على المسلمين فحسب، بل شملت اليهود والنصارى أيضًا، فإن (الدين) أصبح يؤدي دوره على مسرح السياسة في أوروبا بواسطة الفاتيكان والأحزاب المسيحية، وبدرجة أكثر وضوحًا في إسرائيل، ولكن الظاهرة هناك لم تحدث أية ضجة ومرت – وتمرّ – كأحداث عادية لا يُراد لها أن تثير الانتباه أو الاهتمام، مع أنها تُعدّ تحولًا كبير الشأن بالنظر للخلفية التاريخية للصراع مع الكنيسة!

وبعبارة أكثر تفصيلًا وتحليلًا، فإن (المحنة الشديدة التي يتعرض لها الفكر

(١) الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإرادة التكامل القومي للدكتور حامد ربيع صـ ٩٤ ط دار الموقف العربي سنة ١٩٨٢ م.



الإسلامي المعاصر ، ذلك التحدي الصارخ الذي يهدده في الصميم ، من قبل مجتمعات ونظم وقوى ، ترعم أنها علمانية أو إلحادية أو مادية ، رغم أنها في تكوينها دينية من الرأس حتى أخمص القدم . أنها تنكر على الحركات السياسية الناهضة في العالم الثالث ، أن تأخذ الطابع الديني في نفس الوقت الذي تنطوي فيه هذه القوى المناوئة للإحياء الإسلامي ، على نزعة دينية قوية . وإلا فما هو القول في إسرائيل والصهيونية ، التي ارتكزت ولا تزال على المضمون الديني اليهودي ، وما هو الشأن في أوروبا الغربية الصناعية التي تلعب الأحزاب المسيحية فيها دورًا نشيطًا في الحياة السياسية) ؟!! [1] .

فَلِم هذه الضجّة حول الصحوة الإسلامية وحدها ؟ اللهم إلا إذا كانت صدى الطغائن المتوارثة منذ الحروب الصليبية ، وامتزجت في الذاكرة بانتصارات المسلمين وقوة شوكتهم أيام أمجاد الخلافة العثمانية ، لأن الإسلام كان يعتبر – في رأي توينبي – حركة مناهضة للغرب وبدعة دينية مخالفة لديانة الغرب في الوقت نفسه ، ويستخدم سلاحًا روحيًا لا يمكن مقاومته بالأسلحة المادية ! [2] .

لهذا فليس العجب من الأقلام التي تهاجم الصحوة الإسلامية في الغرب ، بل العجب كل العجب من بعض أقلام بني جلدتنا الذين يتخذون المواقف المتشابهة لأعداء الإسلام !

(١) مقال الأبعاد السياسية لأزمة الواقع الإسلامي للدكتور السيد عليوه صـ ١٠٧ مجلة (السياسة الدولية) بمصر العدد ٦١ يوليو سنة ١٩٨٠ م .

(٢) الحضارة في الميزان ، أرنولد توينبي صـ ٣٠ ترجمة أمين محمود الشريف ومراجعة محمد بدران ط الحلبي بدون تاريخ

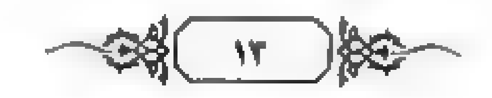


وهناك أيضًا كتابات مثبّطة للهمم ، أو تحمل السخرية وتنضح بالتهكم ، أو ترمي إلى الدخول في جدل ومناقشات في قضايا فرعية بغرض البلبلة ، أو تخترع ألفاظًا بلا مدلولات حقيقية – يمكن تعريفها علميًّا – كاتهام الإسلاميين بالتطرف أو الجمود والرجعية وغيرها من ألفاظ كلون من ألوان الإرهاب الفكري ! ، وحتى اسم (الإسلام) في ظل النظم الثورية كان محجورًا عليه وراء تعريفات مختلفة (كالقيم الدينية) أو (القيم الروحية والخلقية) ، أو (التقاليد والأعراف) أو (التراث) أو (الفكر الديني) أو (الدين) ، وعندما تم الإفراج عن اسم (الإسلام) مرة أخرى بعد محاولة طمسه وإخفائه لمدة سنوات طويلة فأصبح كالسجين عندما يُفرج عنه فيفرح به أهله !

إن لفظ (الإسلام) أصبح له رنة هائلة في القلوب والنفوس قبل الآذان ، هذه الفرحة التي لا يعرفها ولا يتذوقها إلا المسلمون المؤمنون !

أما عن المناهج المتّبعة في الدراسة ، فقد ردد بعض الباحثين أن حركة اليقظة الإسلامية تُعد ردّ فعل للهزائم العسكرية والمصاعب الاقتصادية والتردي الحضاري فهل هذا صحيح ؟

يبدو هذا التفسير صحيحًا في جزء من أجزائه ، لكنه يغفل البحث عن عوامل بقاء الأمة ولا يحيط بحلقات التاريخ المتكاملة تعليلًا وتفسيرًا والذي يتبين منه أن الأمة ظلت باقية طيلة نحو أربعة عشر قرنًا من الزمان بالرغم من السهام التي صوبت إليها وكانت تبغي إصابتها في مقتل .



ومن هنا فإن الإحاطة بالظاهرة يتطلب استخدام أكثر من منهج :

١ - **منهج التحليل السياسي** ويتضح منه أن الأمة الإسلامية – كرباط معنوي – مازال قائمًا بالرغم من إلغاء الخلافة الإسلامية في طورها الأخير (أي العثمانية) وكانت تجمع الأمة وتضمها في الشكل السياسي الأمثل .

٢ – **منهج التاريخ الحضاري** بمفهومه الشامل للأمة الذي يتجلى في الطابع الثقافي والكيان الاجتماعي ، حيث يتضح أن الشريعة الإسلامية ظلت تحكم الأمة طوال عمرها ، ولم تُلغ إلا بفعل سلطات الاستعمار الغربي ، كذلك كانت راية الجهاد هي الراية التي قاومت بها الشعوب الإسلامية مستعمريها وجلاديها .

٣ - **منهج علم مقارنة الأديان** فيتضح أن الإسلام – دون غيره من الأديان – تتسم عباداته بخصائص وصفات لا توجد في أية ديانة أخرى ، فهي على مستوى إشباع نوازع النفس البشرية تغذيها وتكسبها الطمأنينة في دروب الابتلاءات والكوارث والمحن ، وتربطها بخالقها ﷻ عبودية ومحبة وخوفًا ورجاء متطلعة إلى الحياة الآخرة ونعيمها ، وبذلك تصبح الصلاة والزكاة والصيام والحج كوسائل للوصول إلى الغاية العظمى والنعيم المقيم ، وفي نفس الوقت تجدد الصلة بين المسلمين وربهم ﷻ وتعمق الإيمان ، وتحافظ على تماسك الامة وتقوي نسيج وحدتها . وهنا نلاحظ أن الاستعمار استطاع حصار الشعوب ولكنه لم يقض على (الأمة) ، وها هي حكمة جديدة تظهر لنا كآثر للعبادات ، ربما كانت خافية أيام ازدهار حضارتنا .

فهي في عصور الضعف تؤدي دورها في إبقاء الأمة حية بالرغم من مظاهر الوهن . أي كالأنهار والمياه الجوفية التي تظل تتدفق وتتتابع باستمرار ، فإذا ضيّق

عليها الخناق وسدت عليها المنافذ من جانب ، تفجّرت من جانب آخر !

وهذه إحدى معجزات الإسلام التي تميّزه عن غيره من الأديان ، وربما كان هذا هو السر في حيرة أعداء الإسلام الذين فجأتهم الصحوة بعد أن ظنوا من فرط اتساع خططهم وقوتها أنهم تخلصوا منه ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] .

وأخيرًا فإننا نتوجه بحديثنا إلى الباحثين على اختلاف مناهجهم :

فنحن ندعو بالحكمة هؤلاء الذين انحاروا لحضارة الغرب وفتنوا بها ، ندعوهم إلى إعادة النظر وفق المنهج المقترح في هذا الكتاب .

ونرجو تبصرة الجمهرة من مثقفينا الذين ضُلّلوا بفعل (غسيل المخ) الذي بلغ ذروته بفعل الغزو الثقافي والحرب الفكرية .

كذلك نطمع في عودة المتغربين إلى أمتهم بدافع النخوة واسترداد الوعي بالذات والارتباط بتراثهم من جديد بعد إعادة النظر في المفاهيم والآراء التي نشأوا عليها .

ولا نفقد الأمل أيضًا في أصحاب الأقلام العدائية ، فربما تتحقق الهداية بأسباب لا تخطر على البال : كلمة صادقة مخلصة ، أو معرفة حقيقة كانت خافية ، أو ابتلاء من الابتلاءات المارّة بالإنسان توقظه وتنبهه ، أو قراءة واعية مؤدية إلى تصحيح معلومات ومفاهيم غُرست في الأذهان منذ الصبا بمناهج تعليمية ترمي إلى فصل الأجيال الجديدة عن تراثها وقيمها ، كما فعلت فرنسا بالمغرب وتونس

والجزائر ، وكما فعلت انجلترا بالهند ومصر [١] .

والحمد لله ﷻ له أولًا وآخرًا ، ونسأله سبحانه أن ينفعنا به والمسلمين ، وأن يحقق لأمتنا آمالهم ويمكنّها من أداء رسالتها كخير أمة أخرجت للناس .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، ،

مصطفى بن محمد حلمي

الإسكندرية في ٧ شوال سنة ١٤٠٩ هـ

١٢ مايو سنة ١٩٨٩

---

(١) فإن الكاهن (دنلوب) خلع عنه ثوب الكهنوت ودخل في خدمة الحكومة بمصر يدير مدارسها في خلال ربع قرن ، فكان يناهض القرآن مناهضة سرية متواصلة .

صـ ١٥٧ من كتاب (الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوربية) وهو تتمة كتاب (استعباد الإسلام) لأوجين يونج – مكتبة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر سنة ١٩٢٨ م .



الفصل الأول

منهج البحث وَقضاياه

منهج البحث وقضاياه

إذا رأيت السحب الداكنة في يوم الشتاء الممطر تغطي السماء، أفلا تعتقد جازمًا أن الشمس لابد وأن تظهر للعيان مرة أخرى مهما طال غيابها وراء السحب ؟!

هذه هي الصورة التقريبية للعلاقة بين أمة الإسلام وما طرأ عليها من أزمات كانت تشتد عليها وتكاد تغطي ملامحها كما تفعل السحب السوداء في أيام الشتاء، ولكن الأمة ظلت موجودة، خفتت أو ضعفت أشعتها وأثرها ولكنها بقيت حية .

إن آثار الهزيمة التي عانت منها الأمة في القرن أو القرنين الأخيرين لا تعني أنها هزيمة أبدية .

وفي الوقت نفسه لا ننكر أن أحوال العالم الإسلامي في صورتها العامة مضطربة ومتردية يسبب لقلوبنا الأكدار والأحزان لأنها تسيء في تعبيرها عن مضمون الإسلام الصحيح الذي ارتفع بالمسلمين الأوائل إلى قمة الحضارات الإنسانية .

ولكن ما الحكم على مظاهر الصحوة الإسلامية التي جذبت اهتمام مراكز البحوث والدراسات في الشرق والغرب وأزعجت الدوائر الاستعمارية التي رأت فيها خطرًا على مصالحها بل نظر البعض إليها على أنها تعبر عن حضارة قادمة في الطريق سترث الحضارة الغربية ؟

وظلت البحوث والدراسات تحوم في أغلبها حول التفسيرات الماركسية، كتعليل الصحوة مثلًا بأنها حركة رد فعل للأزمات الاقتصادية أو الهزائم

العسكرية أو المتنفس لأزمات الشباب ، إلخ ... "[1] .

أجل قد يكون أحد هذه العوامل أو بعضها سببًا من الأسباب ولكننا أمام هذه الظاهرة العامة على مستوى الأمة والمتغلغلة في طبقات اجتماعية متباينة ، نرى قصور التعليلات السابقة حيث تفتقد في رأينا عاملين :

الأول : العامل الإيماني الفردي .

الثاني : افتقاد النظرة التاريخية الشاملة للصراع الحضاري مع الغرب لاسيما في العصر الحديث .

ونرى متابعة هذه الصراع بحيث ينبغي البدء بالاصطدام بالغزو العسكري حيث كانت عقيدة الأمة تشكل حجر الزاوية في المقاومة ، إذ تسلحت بالإسلام دفاعًا عن ذاتها وأيضًا ظلت تقاوم بصلابة كل محاولات الاستعمار للقضاء على دينها أو محو تراثها .

وخدع الاستعمار نفسه حينما ظن بعد سنوات من الاستعمار تتراوح بين نحو قرن في مصر مثلًا وعدة قرون (في أندونيسيا) ظن أنه انتصر نهائيًا ، وأن تحديه هذه المرة بلغ غايته ، ولم يكن يعلم أن الإسلام في أعماق الأمة يؤدي دوره المزدوج :

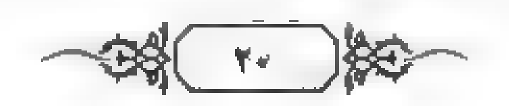
١ – المحافظة على ذاتية الأمة .

٢ – الدرع الذي تدافع به عن كيانها .

أجل : الإسلام بمصدريه : كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ظلا في قلب

---

(١) ينظر بالتفصيل (ملف السياسة الدولية) بمجلة السياسة الدولية بالأهرام العدد ٦١ يوليو سنة ١٩٨٠ بعنوان (حركة الإحياء الإسلامي وأبعادها الدولية) .



الأمة وبين أيديها تعض عليها بالنواجذ، وإذا شئنا التفصيل قلنا: إن العبادات من صلوات وصيام وزكاة وحج ظلت تذكرها بالعبودية لله تعالى وحده وتحررها من العبودية لغيره كائنًا من كان، فضلًا عن التراث العلمي الفقهي والقيم الأخلاقية والآثار التاريخية التي جسدت حضارتها وأنعشت ذاكرتها.

كل ذلك كان ومازال يشكل ضمانات ثابتة صاحبت الأمة منذ بعثة رسول الله ﷺ، بينما تعبر موجات الغزوات العدائية في تاريخها عن العوامل الثانوية التي تحرك الأمة وتوقظها كلما أخلدت للدعة وغفلت عن رسالتها. ويصدق هذه التفسير منذ غزوات التتار والحروب الصليبية إلى الغزوات الاستعمارية في العصر الحديث وهي امتداد للحروب الصليبية في العصور الوسطى أيضًا.

وبالرغم من أن الاستعمار الجديد قد استفاد من دروس هزيمة أجداده الصليبين فابتدع أساليب جديدة في الغزو الثقافي والتسميم الفكري - كما سنرى - بالرغم من ذلك فإن الإسلام ظلّ يؤدي دوره في الأعماق.

ثم دار الزمن دورته بعد ان فشلت خطط الاستعمار في الإبقاء عليه في ديارنا إلى الأبد كما كان يظن ويأمل حيث أغفل قانون الدفع القرآني ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ونحن نعيش في الوقت الحاضر نماذج دالة على حيوية الأمة بالرغم من الطعنات والجراح الهائلة التي أصابتها، حيث ظنت الدول الاستعمارية - وعلى رأسها روسيا وأمريكا - أن طعناتها المتوالية قد أجهزت على الأمة تمامًا، ولكن تبين أنها اخطأت:

منها المحاولات المستميتة بواسطة اليهود لكتم أنفاس الفلسطينين ومسح

هويتهم العربية الإسلامية ، فظهرت على أثرها ثورة المساجد تحت راية (الله أكبر) .

ومنها الحملة الروسية الضارية بقوتها العسكرية الضخمة وجيوشها المسلحة بأحدث الأسلحة ، ولكنها فشلت في تحقيق أغراضها والتهام أفغانستان كما التهمت الولايات الإسلامية الست من قبل ، وانتصر الشعب الأفغاني تحت راية الجهاد الإسلامي ، بل إن الأمل معقود عليه ليحقق انتصارات أخرى لتحرير المسلمين في جمهوريات الاتحاد السوفييتي من نيران الاستعمار الروسي ، الذي لا يماثله لون آخر من الاستعمار إلا الإستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين ، والاستعمار الفرنسي الذي كان يهدف إلى ضياع ذاتية الشعوب التي يستعمر أراضيها لاسيما في شمال أفريقيا بتونس والجزائر والمغرب أيام سطوته .

ويرتكز منهجنا على عدة ركائز ، منها :

أ – استعراض تاريخ الأمة العقدي والتشريعي في العصر الحديث داخليًا ، والنزاع مع أعداء الأمة خارجيًا .

وفي ضوء هذا التحليل يتضح لنا في أجلى الصور الأحداث والوقائع التي أسهمت في التردي إلى الواقع الحالي ، ولعل أبرزها إلغاء الخلافة العثمانية ثم تفتيت وحدة الأمة وقطع رباطها التاريخي والديني والسياسي الذي كان يربطها منذ وفاة النبي ﷺ ، وعلى أثرها فُرضت على الشعوب الإسلامية على امتداد بلدانها المختلفة الأيديولوجيات والأنظمة من الشرق والغرب .

ب – الاستعمار وآثاره على عقائدنا وتشريعاتنا .

جـ – كيف ظلت الأمة باقية طوال حركات الصراع مع أعدائها ؟

ويتضح ذلك من استعراض وسائل الأمة الإسلامية في المحافظة على ذاتها



في الداخل ومواجهة أعدائها في الخارج .

د - ما هي حضارتنا ؟ أو النموذج الحضاري الإسلامي البديل لحضارة العصر .

هـ - الأمة الإسلامية والعصر .

و - آفاق المستقبل بمشيئة الله تعالى .

المدخل ومتطلبات الدراسة :

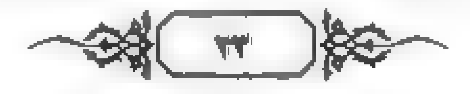
لاشك أن الأمة الإسلامية التي تشكل نحو مليار من البشر واقع حي موجود يحتل منطقة جغرافية تمتد من جنوب وأواسط آسيا شرقًا إلى المحيط الأطلنطي غربًا ، ولها تاريخها منذ ألف وأربعمائة سنة ، وتدور في فلك ثقافي واحد إذ يرتبط بالوحي المنزّل بالقرآن الحكيم وسنة سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ .

هذا هو الواقع المتجسد الحي الذي لا خلاف حول إقراره إعترافًا بالواقع ، ولكن الخلاف الدائر في مراكز البحوث والدوائر السياسية هو :

أ - هل سيظل هذا الواقع بأحواله الراهنة خاضعًا كما هو الآن لإحدى الدولتين المتعاليتين ، أم أنه بدأ يستيقظ ليشكل كتلة مستقلة سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا - كما كان في ظل الخلافة الإسلامية - وفي هذه الحالة يصبح خطرًا على الحضارة الغربية بجناحيها الشرقي والغربي ؟ ثم ، ما السبل لإبقائه على حالة من النوم والخمود والتخلف والتبعية ؟

هذا ما نراه خارج دائرة العالم الإسلامي .

أما في الداخل فقد صدرت المؤلفات العديدة وكتبت المقالات التي لا حصر



لها حول هذه الظاهرة ، يهمنا تبويبها وفق المناهج والاتجاهات الآتية :

١ – المنهج التغريبي ويستخدم أصحابه طريقة الفلاسفة الغربيين في التحليل والتفسير وركيزته تصور الدين منفصلًا عن الحياة .

٢ – التحليل وفق المنهج الماركسي المادي ، أو تفسير حركة اليقظة الإسلامية كرد فعل للهزائم العسكرية المتوالية أمام الغزو الصليبي الصهيوني .

ونرى أن أصحاب هذا التفسير وغيره ممن يخضعون لمناهج الفلسفة الوضعية لا يريدون الوقوف على الخلفيات والحقائق التاريخية الثابتة ، ولهم عذرهم أيضًا لأنهم لا يقرّون بالعامل المعنوي الغيبي الذي يفاجؤهم أحيانًا بلا مقدمات محسوبة ولا خطوات مدروسة – وأظهرها في العصر الحاضر انتصار الأفغان على الاتحاد السوفيتي ، وحركة المقاومة الفلسطينية داخل أراضيها !

هذا العامل الغيبي الذي يتحقق فيه النصر الإلهي ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ يغيب تمامًا عن أذهان هؤلاء ، بينما نحن نضعه في المقام الأول مع تطبيق السنن الإلهية في التأييد والنصر !

إن هؤلاء الذين فاجأتهم حركات اليقظة لم يقرءوا التاريخ جيدًا ، لأن الاكتفاء بتحليل الظاهرة بالعوامل المعاصرة فحسب تشكل خللًا كبيرًا في التفسير والفهم ، وتضع ضبابًا أمام الرؤية ، لأن أصحابها لا يريدون الإقرار بالخلفيات والحقائق التاريخية الثابتة .

فكأن الأمة لم تقر بالإسلام ولم تتخذه دينًا ولم تعرفه وتحياه منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان ، وكأن الشريعة لم تكن دستور المسلمين ، وكأن مناهجها التعليمية وتنشئة الأجيال تلو الأجيال لم تعتمد على تراثها الضخم الثري

- المطبوع والمخطوط - في التفسير والحديث واللغة والفقه والتاريخ والعلوم بشتى فروعها والآداب ، وكأن القرآن الكريم لا يتلى آناء الليل وأطراف النهار ، وكأن المساجد في أنحاء العالم الإسلامي لا تؤدي فيها شعائر العبادات اليومية والأسبوعية ولا يسمع من مآذنها نداء (الله أكبر) خمس مرات في اليوم ، وكأن التاريخ الجاهلي أو الفرعوني أو الفارسي أو الفينيقي أقرب إلينا من تاريخ هجرة محمد ﷺ !!!

وفي المقابل : هناك الطلائع الشابة المسلمة وهي في أغلبها من الطبقة المثقفة المقتنعة عن طواعية باختيار النموذج الإسلامي للتنظيم الاجتماعي والسياسي حيث نفرت من التطبيقات للقوانين الوضعية المستمدة من الغرب ، ولم تستسغ الثقافة المستوردة ونفورها منها بفطرتها . لقد تاقت إلى حياة أجدادها التي كانت اكثر سعادة وطمأنينة لأنها نفذت عمليًا تعاليم الإسلام وخضعت له .

وهناك أيضًا ثغرة واسعة في منهج بعض الدارسين لحركة الصحوة لا يملؤها كثرة المراجع وجمع البيانات أو دقة الاستقراء ، هذه الثغرة تتمثل في نظرتهم إلى حركة اليقظة من خارج (التجربة الإسلامية) - أو الإيمانية - ، وأقصد بذلك نظرتهم للإسلام كمجرد تراث مدوّن ومقروء ، ومجموعة نصوص وتاريخ بمعزل عن خوض تجربته كعقيدة إيمانية ينبض بها القلب ، وينشرح لها الصدر ، ويعرف صاحبها لها مذاقًا خاصًا يدفعه إلى الاغتراف منه بلا حدود .

إن المذاق الخاص الذي عرفه المسلم في ضوء التجربة الإيمانية بحرصه على الامتثال لأوامر الله ﷻ والانتهاء عما نهى عنه ، تجعل الإنسان المسلم وثيق الصلة بخالقه ﷻ عبودية ومحبة وخوفًا ورجاءً .



كذلك محبته للرسول ﷺ والحرص على اتباع سنته تحقق له لونًا من السعادة والطمأنينية النفسية لا يعثر عليها في أية تجربة أخرى .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

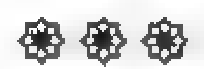
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ .

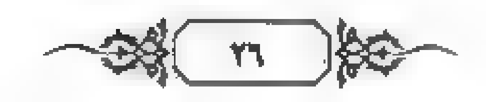
﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ .

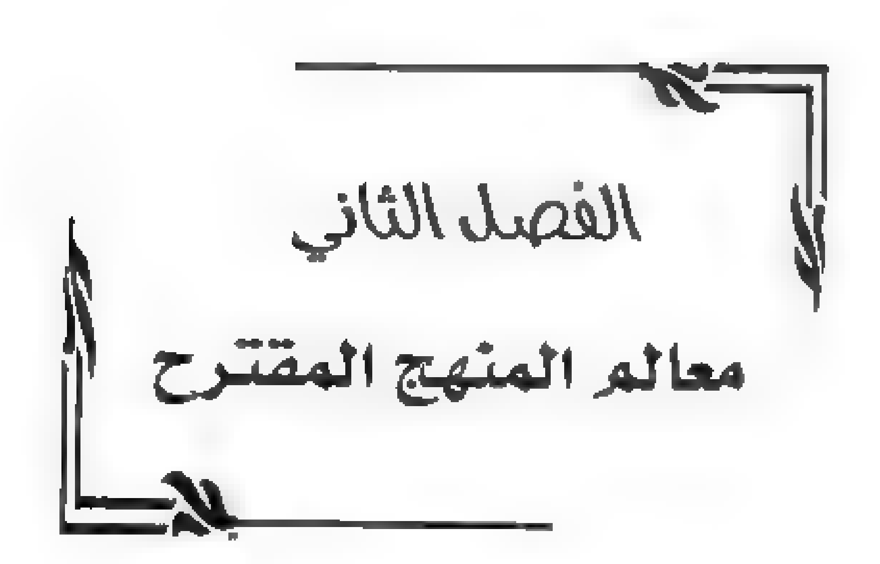
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ .

إننا ندعو هؤلاء الباحثين إلى قراءة آيات القرآن الكريم بفهم وتدبر، ومعايشة سنة الرسول ﷺ بالاطلاع على أقواله وأفعاله، والفهم العميق لحكمه، ثم اتباعه قدر الاستطاعة، وليس في ذلك كله أية صعوبة، حيث يمكن الانتظام في صلاة الجماعة وإقامتها بخشوع، أو الصيام في الأيام الواردة ضمن السنن، أو أداء العمرة والحج، مع تسجيل نتائج هذه التجارب وإعادة النظر فيما ورثوه من ثقافات وما طالعوه من كتب، وما عرفوه من فلسفات وأيدولوجيات، وما خاضوه من تجارب وجدانية .

ونحن على ثقة بأن هذه التجربة الإيمانية التي تجمع بين الأحكام العقلية التأملية وبين الأحاسيس القلبية اليقينية ستجعلهم أكثر دقة في أحكامهم .







الفصل الثاني

معالم المنهج المقترح

معالم المنهج المقترح

تصحيح المعلومات والتصورات :

ومن أولويات العودة إلى الذات مراجعة المفاهيم والتصورات التي غُرست في عقولنا ونفوسنا أيام هيمنة الاستعمار العسكري – الذي انحسر سلطانه وبقيت آثاره ولعل أبعدها شأنًا تلك الآثار الثقافية التي حولت أذهان المسلمين عن خط السير الأصلي الذي سارت فيه أمتهم منذ عصر النبي ﷺ ، فأصبح شأنهم في ذلك – كشأن قافلة كانت تسير في طريقها الصحيح ، ولكن اعترضها الضباب فترة فحجب الرؤية الصحيحة فتوقفت ، وكادت أن تتراجع ، ثم ظهر في الطريق من أراد خداعها زاعمًا أنه يستطيع إرشادها إلى الطريق الصحيح ولكنه في الحقيقى كان مخادعًا سيء النية ، يريد تسليم القافلة إلى أعدائها المتربصين بها .

ولما لاحت ضياء الشمس وانقشع الضباب أصبح الطريق أمام القافلة واضحًا ، فبدأت تستأنف سيرها من جديد . هذه هي الصورة المصغرة لحركة اليقظة الإسلامية بعد فترة الغياب عن الذات .

ولا يتعدى دوري في هذا الكتاب السعي لتحقيق غرضين :

الأول : تصحيح بعض المعلومات لكثير من مثقفينا المعذورين الذين شبّوا على الفكر الغربي وتصوراته ، وكانوا ضحايا النظرة الواحدة ، ولم تُتح لهم فرصة دراسة الثقافة الإسلامية لسبب أو لآخر .

الثاني : الإسهام – بقدر وسعي – في صياغة منهج نتمكن به من إعادة النظر إلى أنفسنا وإشاعة روح الاعتزاز بعقيدتنا وشريعتنا وحضارتنا ، ووصل ما

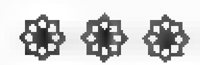
انقطع من الطريق الذي انحرف بنا في ظل الاستعمار لكي نستأنف من جديد اجتياز الطريق الرئيسي الذي كانت امتنا تسير عليه منذ بزوغ شمس النبوة عليها .

وسنضع العلامات على الطريق في شكل إجابات على الأسئلة التالية :

١ – من نحن ؟ وما هي حضارتنا ؟ وما هو دورها القيادي للعالم ؟

٢ – ما هي آثار الاستعمار على عقائدنا وتصوراتنا ؟

٣ – ما هي آفاق المستقبل بمشيئة الله تعالى ؟



الفصل الثالث

النموذج الحضاري الإسلامي

(أو الحضارة الإسلامية وفضائلها)

النموذج الحضاري الإسلامي
(أو الحضارة الإسلامية وفضائلها)

ربما يعلق قارئ على العنوان فيدور في ذهنه السؤال الآتي : وأين نجد هذا النموذج مطبقًا في الواقع ؟

والإجابة تقتضي مراجعة تاريخ المسلمين الأوائل في عصر النبوة والخلافة الراشدة لا رجوعًا إلى الوراء بالمعنى التاريخي الاستردادي ولكن ارتفاعًا إلى القمم التي شادوها في العقائد والعبادات والأعمال .

وما دامت هذه القيم باقية فإن تطبيقها متاح عندما نصرّ على التقيد بها وتطبيقها كما فعل المسلمون – ويفعل بعضهم حتى الآن ! وذلك مصداق حديث رسول الله ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله** »[1] .

ولئن كانت الحضارة بالمفهوم الجاري على الألسنة هي نتاج التقدم العلمي بفروعه المختلفة في ميادين الهندسة والصناعات واستخدام الآلات لخدمة الإنسان ورفاهيته وإقامة المدن وتمهيد الطرق ، والاستخدام الأمثل لظاهر الأرض بزراعتها وباطنها باستخراج البترول والمعادن وغيرها ، كل ذلك يعبر عن جانب

---

(١) وبهذه المناسبة نود أن نشير إلى أن هذا الحديث لا يتعارض مع حديث (خير القرون قرني ..) الذي يفسره بعض المتغربين بأنه يقتضي وصف الماضي دائمًا بالأحسن ، فإن الجمع بين الحديثين يؤدي إلى تصوير الأمة الإسلامية بأن كثرتها الغالبة المستمسكة بتعاليم الإسلام تحققت في القرون الأولى ، ولا يمنع ذلك من حفاظ الطائفة الظاهرة على الحق على هذا مع قلة عددها بالمقارنة بالمسلمين الأوائل .



واحد من التصور الإسلامي للحضارة، لأنه يقر أن القرآن أن الله تعالى سخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعًا، وكان ذلك سببًا في ازدهار العلوم عند المسلمين، ولكن تبقى (الثقافة) كعنصر هام من عناصر الحضارة - أي ما تتضمنه من عقائد وقيم تتمثل في تعريف الإنسان بخالقه ﷻ وحضه على النظر في الكون حوله وبيان الحكمة من خلق هذه الحياة وطبيعتها ومآلها، وتنظيم سلوكه وأخلاقه تهذيبًا وارتقاءً إلى الأسمى، وإخضاع غرائزه ودوافعه إلى نظام محكم في العبادات وقواعد التشريع والمعاملات حتى تنتظم علاقاته على أقوم سبيل ممكن بالنظر للطبيعة البشرية القابلة للاستقامة أو الإنحراف «**وهديناه النجدين**».

ومن هنا كانت الحضارة التي ترعرعت في ظل الإسلام هي أرقى حضارة عرفها الإنسان، حيث كفلت السعادة والأمان، وحققت له حرية الاعتقاد والعمل، وكان العلم فيها خادمًا للإنسان، فلم تنفلت نتائجه المدمرة لتسبب الكوارث كما حدث في أوروبا في حربين عالميتين قتل خلالهما وشرد الملايين، وكانت وصمة عار في جبين هذه الحضارة. كذلك خلت الحضارة الإسلامية من الأزمات النفسية والعصبية المنتشرة كالأمراض المعدية في كيان الحضارة الغربية.

ولنا أن نباهي إذن بحضارتنا بالرغم من انحسارها الحالي إذا بينًا أن الجانب (الثقافي) مازال ثابتًا حيًا محتفظًا برونقه لم يمس، ها هي أدلتنا:

١ - **التوحيد**: وهو جوهر الإسلام ولبه، وإذا كان علماؤنا قد اهتموا بدوائه الثلاث (الألوهية والربوبية والأسماء والصفات) فذلك لكي تتضح عقيدة التوحيد وترسخ في النفوس والقلوب فلا تشوبها أية شائبة.

وربما يأتي هاتف فيوسوس لك عن الحكمة في بيان هذه الدوائر، ولكن



سرعان ما تعرف الحكمة إذا شرحنا المقصود منها ، فتوحيد الألوهية يعني إفراد الله تعالى بالعبادة ، ورجاءً وخوفًا ومحبة - وهي من أعمال القلوب - والصلاة والزكاة والحج ونحو ذلك وهي أعمال الجوارح . ولا يصح للإنسان أن يتوجه لغير الله تعالى بهذه الأعمال التي يقصد بها التقرب إلى الله تعالى إذعانًا وخضوعًا واستسلامًا .

ونفهم توحيد الربوبية على ضوء التيقن بأن الله سبحانه هو رب كل شيء ومليكه وهو تعالى الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور بتشريعه الحكيم ، فمن زعم الاستقلال بتشريع أو بنظام من عند نفسه فقد أخل بهذا التوحيد ، وأقل ما يوصف به آنذاك أنه استهان بشرع الله تعالى ، فهل لنا أن نطالب المستمسكين بالقوانين الوضعية بإعادة النظر في عقيدتهم على ضوء هذا الشرح ؟

أما توحيد الأسماء والصفات فيميز المسلمين الموحّدين عن غيرهم الخارجين في عقائدهم عما وصف الله تعالى به نفسه من صفات وأسماء حسنى .

٢ - التطبيق العلمي بواسطة الرسول ﷺ : فقد وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بأن خلقه القرآن فلم يعد لأحد حجة في الانحراف عن سنته وطريقته في الحياة .

٣ - ثبات القيم الأخلاقية مع الحض على مكارمها .

٤ - الحض على طلب العلم وإجلال العلماء .

٥ - تكريم الإنسان وتقرير حقوقه :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] .

وكان الإسلام أسبق من حيث إقرار حقوق الإنسان التي جعل منها دنيا ودينًا ، وأقامها على دعائم أخلاقية وروحية تسمو كثيرًا على ما جاء بميثاق هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م .

وتقوم حقوق الإنسان في الإسلام - كما يذكرها الدكتور بيومي مدكور - على الحريات الخمس التي تباهي الحضارة الغربية بالكشف عنها ، متجاهلة أن الإسلام قد وجه إليها من قديم وهي حريه الاعتقاد ، وحرية الرأي والتعبير ، وحرية العمل ، وحرية التعلم ، وحرية التملك والتصرف [1] .

٦ - العالمية : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [2] [الأعراف : ١٥٨] .

٧ - تفوق النموذج الإسلامي :

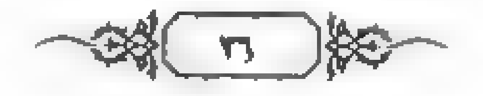
ووفقًا للمفاهيم السياسية المعاصرة يظهر تفوق النموذج الإسلامي للحضارة كما يقرر الدكتور حامد ربيع ذلك بقوله :

(فهو نموذج واضح لحضارة سائدة استطاعت خلال أقل من قرن أن تسيطر على جميع الشعوب الممتدة من وسط آسيا حتى نهاية غرب البحر المتوسط . أيديولوجيتها واضحة ومحددة : نشر الدعوة وفرض السلام الإسلامي حيثما

---

(١) د. إبراهيم بيومي مدكور : في الفكر الإسلامي ص ١٧٠ ، سميركو للطبع والنشر سنة ١٩٨٤ م .

(٢) يطر الدراسة الشاملة الممتازة لفضيلة الشيخ محمد الراوي بكتابه (الدعوة الإسلامية دعوة عالمية) وتقع في نحو ٦٠٠ صفحة من الحجم الكبير ، دار العربية بيروت .



استطاعت القوة والإرادة العربية أن توطد أقدامها .

كذلك فإن الاستمرارية التاريخية تميز الحضارة الإسلامية وتجعل منها النموذج الوحيد الذي يربط - دون أي قطيعة - العالم القديم بالعالم المعاصر)[1]

٨ - القوى الفعلية الكامنة في الأمة :

وإذا أقررنا بأن الأرقام هي أدق لغة علمية ، فقد قام المهندس الدكتور مصطفى مؤمن بعمل إحصائية معبّرة عن العالم الإسلامي ، والمطلع عليها سيقتنع بنفسه بمدى قوة هذا العالم وإمكانياته الهائلة وقدرته على استئناف حضارته من جديد .

يقول د. مصطفى مؤمن :

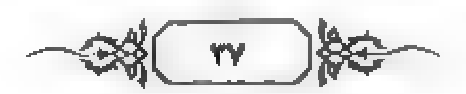
(والآن ، ما ظننا بدولة شامخة تحتل رقعة من الأرض مساحتها ٣٠.١٢٧.٦٠٩ كيلو مترًا مربعًا ، وتعدادها ٧٧٠،٠٩٥،٠٠٠ نسمة وقوتها الضاربة البرية قوامها ٢،٩٥٧،٤٠٠ جندي ، وأسطولها البحري يضم ٨٨١ قطعة ، وسلاحها الجوي يتألف من ٣٨٤٦ طائرة مقاتلة وقاذفة وناقلة ، ودخلها السنوي يزيد على ٦٣٥٧٧ مليون دولار أمريكي .

وقبل هذا وبعده دولة دينها الحق والحق واحد ، وقبلتها واحدة ودستورها الدائم واحد هو الكتاب المكنون .

أظن أن هذه غاية ما يرجو كل مسلم على الأرض ويقيني أنه لو قامت هذه

---

(١) د. حامد ربيع - سلوك المالك في تدبير الممالك صـ ١١٩ ط ١ ، دار الشعب ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

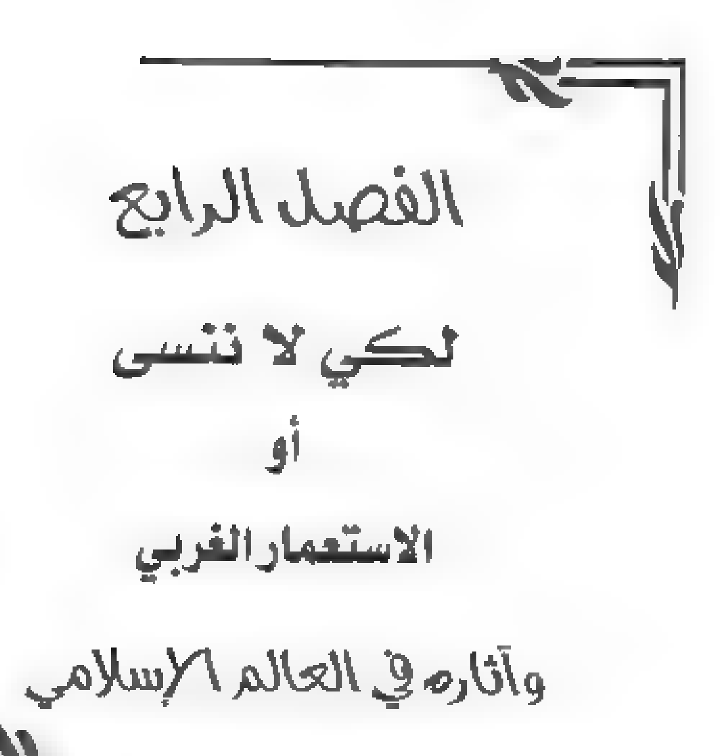


الدولة الشامخة يومًا لنافست بل ناجزت الدولتين المتعاليتين (الولايات المتحدة)، و(الاتحاد السوفيتي) على السواء.

فهل يمكن أن يتحقق ذلك الحلم الجميل الذي يداعبنا في غمرة من اليقظة أو في نوبة من الرقاد، إنه ليس حتمًا، لقد كان حقيقة بالأمس وأراه اليوم غير بعيد المنال)[1].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١].

(١) ينظر كتاب (قسمات لعالم الإسلامي المعاصر) ط دار الفتح ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م



الفصل الرابع

لكي لا ننسى

أو

الاستعمار الغربي

وآثاره في العالم الإسلامي

لكيّ لا ننسى :

الاستعمار الغربي وآثاره في العالم الإسلامي

ربما لا يخفى على الكثيرين أن الاستعمار مازال يجدد صلتنا بالغرب ، وأنه يتحمل مسئولية كبرى عن أحوالنا المتردية ، فإذا ما قام المسلمون لينفضوا عن أنفسهم آثاره باحثين عن الأصالة والذاتية من جديد ، فما وجه الغرابة في حركة اليقظة الإسلامية ما دام هذا هو هدفها ؟

إن هذا هو المتوقع بعد الجرائم التي ارتكبها الاستعمار في حق أمتنا ، وهذا ما يذهب إليه جارودي في تعليله لما يسمّيه بموجة التعصب في بعض بلدان العالم العربي – الإسلامي (**وهو في حقيقته حرص على المحافظة على الذاتية**) ، فيقول :

(علينا ألا ننسى مسؤولية العرب في ذلك ، فخلال كل مراحل الاستعمار والانتداب وحتى أيامنا هذه ، حيث الاستعمار الجديد والشركات الرأسمالية ، كانت مظاهر الحسم والسلطة تأتي من خارج الحدود وما تزال ، ولهذا فطبيعي أن يكون (رد الفعل) الأول للدفاع عن النفس هو القطيعة مع (الخارج) والانكفاء أو الانطواء على الذات) [1] .

وقد علل جوستاف لوبون الروح العامة للعداء الأوروبي نحونا بسبب

---

(١) مايعد به الإسلام . صـ٢٤٦ ، روجيه جارودي ترجمة قص أتاسي – ميشيل واكيم دار الوثبة دمشق ١٩٨٣ م



الحضارة الإسلامية الساحقة، وكشف عن الأحقاد الموروثة منذ الحروب الصليبية، والنزعة العنصرية التي لا تعترف لأحد بالتساوي مع حضارة الغرب المتوارثة من اليونان واللاتين.

يفصح لوبون عن ذلك كله بقوله: (فالحق أن أتباع محمد ﷺ ظلو أشر - (هكذا) ! - ما عرفته أوربا من الأعداء إرهابًا عدة قرون، وأنهم عندما كانوا لا يُرعدوننا بأسلحتهم، كما في زمن شارل مارتل والحروب الصليبية، أو يهددون أوروبا بعد فتح القسطنطينية، كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم الساحقة، وأننا لم نتحرر من نفوذهم إلا بالأمس.

وتراكمت مبتسراتنا الموروثة ضد الإسلام والمسلمين في قرون كثيرة، وصارت جزءًا من مزاجنا، وأضحت طبيعة متأصلة فينا تأصل حقد اليهود على النصارى الخفي أحيانًا والعميق دائمًا.

... زاد مع القرون بفعل ثقافتنا المدرسية البغيضة القائلة أن اليونان واللاتين وحدهم منبع العلوم والآداب في الزمن الماضي، أدركنا بسهولة، سر جحودنا العام لتأثير العرب العظيم في تاريخ حضارة أوربا)[1].

ويتضح صحة تعليل جوستاف لوبون إذا ما بحثنا في ظروف نشأة بعض الساسة المعاصرين المؤثرة في تكوين شخصياتهم، التي تثمر في النهاية اتخاذ قرارات متعصبة ضد الشعوب الإسلامية، إذ تبين للأستاذ سيد قطب رحمه الله أثناء وجوده بأمريكا أن الكثرة الحاكمة هناك (تخرجوا في المعاهد التبشيرية . وهي حقيقة أفضى إليّ بها أحد الأساتذة الإنجليز الذين التقيت بهم في أمريكا، وعدّ لي

(١) حضارة العرب، جوستاف لوبون ص ٢١-٢٢ ترجمة عادل زعيتر ط الحلبي سنة ١٩٦٩ م.



عشرات من الأسماء البارزة في وزارة الخارجية الأمريكية وفي السلك السياسي)[1] .

الاستعمار العسكري ومآسيه وآثاره في العالم الإسلامي :

جاء الغزو الاستعماري من الأبواب الخلفية للعالم الإسلامي في العصر الحديث وكأنه لقى الدرس القاسي عندما واجه العالم الإسلامي بغزو قلبه – أي مصر والشام وفلسطين – إبّان الحروب الصليبية فجاء هذه المرة من الأبواب الخلفية حيث استولى على جزر الهند الشرقية وأندونيسيا في القرن السابع عشر، والهند سنة ١٧٦٣م وكذلك الملايو . وبعد ذلك هاجم البلاد لأوروبا ، فاستولى على الجزائر سنة ١٨٣٠م وتونس ١٨٨١م ومصر في عهد نابليون سنة ١٧٩٨ م ثم انجلترا سنة ١٨٨٢م والسودان ، كما اكتسح أفريقيا أيضًا .

ولم ينفرد الاستعمار الأوروبي الغربي وحده بالحملات الاستعمارية للعالم الإسلامي بل شاركته أيضًا روسيا القيصرية حيث توغلت في بلاد الاستبس جميعًا حتى القوقاز وتخوم إيران .

يقول الدكتور جمال حمدان : (ومن كشف الخسائر هذا يتضح أن العالم الإسلامي جميعًا قد سقط تحت طرقات الاستعمار فيما عدا اليمن وقلب الجزيرة العربية لا لأنه مهد الإسلام بقدر ما كان لفقره ... وكذلك نستثني هضبتا إيران والأناضول ، ولو أنهما لم ينجوا من مناطق النفوذ والتقسيم .

ومن هنا فقد كان التحدي تحدي حياة أو موت بالنسبة للإسلام ، وأعاد إلى الأذهان ذكرى الصليبيات . ولم يحاول الاستعمار الأوروبي من جانبه أن ينكر

---

(١) معركة الإسلام والرأسمالية ، سيد قطب ط دار الشروق ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .



هذا ابتداءً من اللنبي في القدس حين أعلن أنه « الآن انتهيت الحروب الصليبية » إلى جورو في دمشق حين أطلق شماتته المعروفة « قد عدنا يا صلاح الدين »[1] .

ويعبر هذان القائدان العسكريان عن (اللاشعور) في أعماق النفسية الغربية ، بالإضافة إلى الاستجابة إلى مناهج التعليم الدينية والتاريخية بالمدارس والجامعات التي تعكس تجارب الغرب في تحدياته للشرق الإسلامي . يقول توينبي (فمنذ قرون طويلة كان أسلافنا يرون في الإسلام خطرًا مخيفًا يتهددهم قبل أن يسمع الناس بالشيوعية . ففي القرن السادس عشر – وهو الزمن القريب منا نسبيًا – كان الإسلام يبعث في قلوب الغرب من الهوس ما تبعثه الشيوعية في القرن العشرين ، وهذا يرجع في جوهره إلى أسباب واحدة : ذلك أن الإسلام – كالشيوعية – كان يعتبر حركة مناهضة للغرب وبدعة دينية مخالفة لديانة الغرب في الوقت نفسه . وكان الإسلام يستخدم كالشيوعية – سلاحًا روحيًا **لا يمكن مقاومته بالأسلحة المادية**) !!![2] .

ولا نحتاج أمام مثل هذه الأقوال وغيرها إلى إقناع أنفسنا والقراء معنا إلى دوافع الاستعماريين نحو بلاد الإسلام وشعوبه وعقائده ، وإزاء هذا التحدي الاستعماري العسكري لقي مقاومة شديدة منذ أن وطئت أقدامه البلاد ، وظلت الشعوب الإسلامية تقاوم بشتى الأساليب والطرق لأنها عرفت بفطرتها ووعيها التاريخي أن الجيوش التي غزت بلادها لم تأت بغرض (التعمير) أو (التحضر

---

(١) د. جمال حمدان – العالم الإسلامي المعاصر ص ١٣١-١٣٢ ط عالم الكتب بالقاهرة .

(٢) أرنولد توينبي : الحضارة في الميزان ص ٢٩-٣٠ ترجمة أمين محمود شريف ، مراجعة محمد بدران (وزارة التربية والتعليم – ط الحلبي) بدون تاريخ .



والتمدن) كما أعلنت كذبًا وخداعًا ، وإنما جاءت لاحتلال الأراضي والاستكثار من الثروات بعد إذلال الشعوب وتسخيرها لخدمة الحضارة الغربية . وكانت مظاهر النفور بين الغالب والمغلوب واضحة في اختلاف العقائد والثقافات والنظم حيث سعت الدول المستعمرة (بكسر الميم) إلى فرضها على الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) .

ويكفي الاطلاع على بضعة صفحات من كتب التاريخ الحديث لكي نستخلص ملامح الاستعمار وأساليبه التي تثبت أنه بعيد تمامًا عن أية قيم أخلاقية أو مبادئ إنسانية فإنه ليس دعوة إلى التعمير وزرع الخير والإسهام في الإصلاح ، بل كان الإفساد ديدنه والقوة الغاشمة منهجه ، وإفساد الذمم والضمائر سبيله وهدفه لكي يستقر به المقام بالرغم من إرادة الشعوب المقهورة .

وخاضت هذه الشعوب معارك قاسية وقدمت الضحايا تلو الضحايا دفاعًا عن عقيدتها وكرامتها وبلادها مما يرسم أمامنا لوحة خالدة يقف الباحثون أمامها للتأمل والدراسة للتعرف على خطوطها والتمييز بين ألوانها الزاهية المتداخلة .

ونقصد بذلك دعوة الباحثين للوقوف معنا أمام هذه اللوحة التي رسمتها الشعوب بدمائها لنستخلص منها مقدمة ونتيجة :

أولاً : أن حركات مقاومة الاستعمار كانت بدوافع دينية وليست بدوافع وطنية أو قومية .

وهو ما جعل الدكتور جمال حمدان يقرر أنه : (ليست صدفة تاريخية أو سياسية بالقطع أن يتحول العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر ، ولكن بالأخص في القرن التاسع عشر إلى خلية عارمة ترخر بالحركات الدينية والتيارات

والدوامات السياسية ، تضع الضغط والتأييد جميعًا على الوحدة الإسلامية الكبرى أساسًا ، وتتخذ بوصلتها (قبلتها) ماضي الإسلام البطولي (السلفية)[1] .

ونرى أن هذه الحركات لم تندفع بوحي العاطفة الدينية المتاججة وحدها بقدر ما تستند أيضًا إلى وعي تاريخي يقظ ، يقف على التلازم المضطرد بين الاستمساك بالإسلام كحائط فولاذي لمقاومة المعتدين من جانب ومقوم جوهري للتقدم الحضاري بأوسع معانيه من جانب آخر ، كما سنبين ذلك عندما نتناول طبيعة حركات المقاومة للاستعمار العسكري .

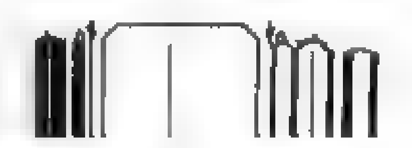
ثانيًا : وهي النتيجة المنطقية المترتبة على سابقتها في رأينا ، فكم صدرت من بحوث ومقالات تدور حول اليقظة الإسلامية المعاصرة تعليلًا وتحليلًا فتضطرب بين عوامل نفسية واقتصادية وسياسية وغيرها من العوامل فتتشابك بين يديها الخيوط وتتعقد ومن ثمَّ تعجز عن فكها .

أما نحن فنرى الإمساك بأول الخيط وحينئذ تستقيم معنا النتائج ، وأول الخيط الذي نعنيه هو الاصطدام بالغزو العسكري الاستعماري حيث يشكل الإسلام بعقيدته وعباداته وشريعته وقيمه نقطة المقاومة الرئيسية إذ تسلحت به الأمة دفاعًا عن نفسها وظلت تقاوم بصلابة كل محاولات الاستعمار للقضاء على دينها أو محو تراثها وتحويلها إلى تابع ذليل لدوله وثقافته .

وخدع الاستعمار نفسه حينما ظن بعد سنوات تتراوح بين قرن وعدة قرون على مدى مساحة العالم الإسلامي ، ظن أنه انتصر نهائيًا ، وأن تحديه هذه المرة بلغ

---

(١) د. جمال حمدان ، العالم الإسلامي المعاصر صـ ١٣٢-١٣٣ .



غايته ، ولم يكن يعلم أن الإسلام في أعماق الأمة يؤدي دوره المزدوج أي المحافظة على ذاتية الأمة كما يمثل الدرع الذي دافع به عن كيانها في نفس الوقت .

أجل ، الإسلام بمصدريه : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظلا في قلب الأمة وبين أيديها تعض عليهما بالنواجذ ، والعبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج تذكرها بالعبودية لله تعالى وحده ، وتحررها من عبوديتها لغيره كائناً من كان ، فضلاً عن تراثها الفقهي والتشريعي وآثارها التاريخية التي تجسد حضارتها وتنعش ذاكرتها .

وكل ذلك يشكل عوامل ثابتة صاحبت الأمة الإسلامية منذ بعثة رسول الله ﷺ ، بينما تعبر موجات العروات العدائية في تاريخها عن العوامل الثانوية التي تحرك الأمة وتوقظها كلما أخلدت للدّعة وغفلت عن رسالتها . ويصدق ذلك التحليل منذ غزوات التتار إلى الحروب الصليبية إلى الغزوات الاستعمارية في العصر الحديث .

وبالرغم من أن الاستعمار في هذا العصر قد استفاد من دروس هزيمة أجداده الصليبين فابتدع أساليب جديدة في الغزو الثقافي – كما سنرى – إلا أن الإسلام ظل يؤدي دوره في الأعماق .

ثم دار الزمن دورته بعد أن فشلت خطط الاستعمار بنوعيها العسكرية والثقافية في الإبقاء عليه في ديارنا إلى الأبد كما كان يظن ويأمل ، حيث استيقظت الأمة على حقائق مُرّة عرفتها وخبرتها على يد الاستعمار بين الغزاة وعادت تقرأ في كتاب ربها ﷻ آيات النصر وآيات الهزيمة . لكي تعمل في ضوئها ، وذلك لكي تصد عن نفسها أفاعيل الدول الاستعمارية التي كانت تريد القضاء على العقيدة ،

لأنها عرفت من خلال تجاربها في الحروب الصليبية أنها بمثابة الدرع لشعوبنا .

كانت فرنسا وإيطاليا وانجلترا على رأس الدول التي أتت بالمخازي والشنائع [1] ولنكتف بنبذ يسيرة لتصوير بعضها بينما المصادر مليئة بكل ما هو مشين ومخجل للراعمين بأنهم أهل الحضارة والرقي : فماذا فعلت فرنسا مع مسلمي المغرب ؟

إنها أصرت على تنصير المسلمين فبدأ الفرنسيون بهذه السياسة في الجزائر ، وفصلوا بين الأمة البربرية والعرب وبثوا الدعاة والقسوس وشادوا المستشفيات والمدارس الفرنسية بنية تنصير الأهالي ، وتعمدوا رفع التعليم الديني الإسلامي بقدر الاستطاعة ، وبلغ الهوس بالسلطة الفرنسية أن منعوا أي مسلم عربي من دخول مناطق البربر وتركوا الرهبان يجولون في بلاد البربر كما يشاؤون .

ومنع الحاكم الفرنسي سكان إحدى البلاد من بناء مسجد وأعطى الأرض التي كانت مخصصة له للرهبان ليبنوا فيها كنيسة بينما لا يوجد نصارى بهذه البلدة (زمور) إلا الحاكم الفرنسي .

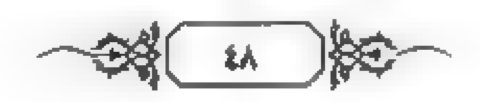
وحَدِّث ولا حرج عن إلقاء بعض السكان بالسجن لأنهم طالبوا بالإبقاء على قضاتهم الشرعيين .. وغيرها وغيرها من إجراءات مخالفة لما تعهدت به فرنسا في معاهدة (الحماية) التي نصت على (أن جميع الإصلاحات التي تقوم بها داخل المغرب لا تمس الدين الإسلامي في شيء ولا تجلب أي ضرر على الحالة الدينية ولا تلحق أدنى مساس بنفوذ السلطان) [2] .

---

(١) ويمثل ذلك شكيب أرسلان بقوله (وهذا كله بما هو راسخ من بقايا المبادئ الصليبية التي لم يتمكن العلم العصري من اقتلاع جذورها من رؤوس الأوروبيين .

(٢) حاضر العالم الإسلامي جـ٣ ص ٣٣٢ .

=



وهناك فظائع أخرى ارتكبتها إيطاليا يتوقف القلم عندها مترددًا من هول ما يجب أن يخط وما هي في الحقيقة إلا نزر يسير من جرائم تملأ مجلدات حيث ارتكب جنود إيطاليا موبقات طوال عشرين سنة في طرابلس الغرب مما (لم يسبق له مثيل إلا في القرون الوسطى وقد يكون من باب النادر في القرون الوسطى نفسها) !!

ويروي لنا شكيب أرسلان أحد هذه الموبقات التي تتلخص في إخراج ثمانين ألف عربي من الجبل الأخضر من أوطانهم وأسكنوهم في صحراء قاحلة وأماتوا بذلك جانبًا كبيرًا منهم وجميع مواشيهم وارتكبوا في هؤلاء المساكين من الفظائع والشنائع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وأخيرًا اغتصبوا من أيديهم أطفالهم من ذكور وإناث ممن فوق سن الأربع إلى سن ١٥ سنة وحملوهم إلى إيطاليا لأجل تنشئتهم في الدين المسيحي [(١)] .

ويؤسفنا أن كبار فلاسفتهم كانوا مؤيدين لهذه المظالم ، بل يحاولون تبريرها بشتى الطرق ، وعلى سبيل المثال يقول مونتسكيو في كتابه « روح القوانين » :

(إذا طُلب مني أن أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيدًا ، فإني أقول : إن شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الاصليين ، لم تر بدًا من أن تستعبد شعوب أفريقيا لكي تستخدمها في استغلال كل هذه الأقطار الفسيحة ، والشعوب المذكورة ما هي إلا جماعات سوداء البشرة من أخمص القدم إلى قمة الرأس وأنفها أفطس فطسًا شنيعًا ، بحيث يكاد أن يكون من المستحيل أن نرثي لها ، ولا يمكن للمرء أن يتصور أن الله ﷻ وهو ذو الحكمة السامية قد وضع روحًا

---

(١) المرجع السابق جـ٣ صـ ٣٤٠ - والمآسي مازالت مستمرة ومذابح صبرًا وشاتيلا بلبنان ما ببعيد !! وانظر الصفحات من ٣٢٩ إلى صـ ٣٤٢ وتتضمن ما فعلته إيطاليا من جرائم أيضًا ، وما خفي كان أعظم !!

– وعلى الأخص روحًا طيبة – في داخل جسم حالك السواد)[1] .

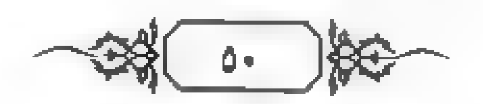
ونعرض على القارئ أيضًا في عجالة صورة أمينة تخبرنا بحقيقة دوافع الاستعماريين لبلادنا الإسلامية وتقويمهم لنا . هذه الصورة منقولة من كتاب (معارف) لأرنولد توينبي توضح لنا أبعاد المؤامرة الاستعمارية على بلادنا إبان مؤتمر السلام سنة ١٩١٩م ، قال :

(ذات يوم كان علي أن أسلم بعض الأوراق إلى لويد جورج – رئيس وزراء بريطانيا حينئذ – على أثر انتهاء أحد الاجتماعات الخاصة بالشرق الأوسط . إنني كثيرًا ما رأيت لويد جورج ورأيته يتكلم ، ولكن كانت هذه المناسبة الوحيدة التي قابلته فيها ، ولقائي هذا معه لم يستمر أكثر من دقيقة أو دقيقتين ، ولكنه كان ما أسرني – ويبدأ يفكر في صوت مرتفع كما يلي : (**ما بين النهرين .. نعم .. نفط ري ، يجب أن نأخذ ما بين النهرين ، فلسطين .. نعم الأرض المقدسة ، الصهيونية يجب أن نأخذ فلسطين ، سوريا .. ها .. ماذا في سوريا ؟ ليأخذها الفرنسيون**) !!

وعلق توينبي على هذه الواقعة المذهلة بقوله : (إن حوار لويد جورج الذاتي اللاواعي قد كشف عن معرفة ذكية لمزايا الأقطار العربية العثمانية ، السياسية والاقتصادية) .

ولكنه ببقايا من نبض الضمير الحي ، اعترف بأنه لم يكن هناك ذكر مسموع للعامل الإنساني الذي كان موضوع تحري وتقرير لجنة كنج وكرين ، وأخذ على لويد جروج أنه عندما عدد (النقاط) في الدول العربية ، أهمل حقوق العرب

(١) نص مترجم من الفرنسية بقلم الدكتور محمد عوض محمد كتاب (لاستعمار والمذاهب الاستعمارية) ص ٣٧ ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧ م .



أنفسهم وأمانيهم[١] .

ومتى كان هؤلاء يعنون بحقوقنا وأمانينا ؟!!

وكلما توسعنا في القراءة والإطلاع ، ظهرت لنا أبعادًا أخرى لدوافع الغرب وراء تطلعاته وغزواته الاستعمارية لبلاد الإسلام ، وتتضح هذه الدوافع في الفكر الفلسفي لبعض فلاسفته الذين قدموهم إلينا في ألوان براقة لامعة ، وأخفوا عن عمد نواياهم الخفية وأحقادهم المدفونة بين ضلوعهم ، والتي تظهر من ثنايا تعاطفهم ومناصرتهم لليهود ضدنا .

وتأملوا معنا بعض أقوالهم :

يقول لوك : إن الله تعالى قادر على جمع اليهود في كيان واحد .

ووصف كانط اليهود بأنهم الفلسطينيون الذين يعيشون بيننا .

ويرى روسو أنهم لن يعرفوا الدوافع الداخلية لليهود أبدًا حتى تكون لهم دولتهم الحرّة ومدارسهم وجامعاتهم .

أما الأوصاف الواردة بالأدب الجديد فهي تطلق على الأتراك ألفاظًا مثل (الكافر الفظ) و(التركي الرهيب)[٢] .

---

(١) مقال الأستاذ صدقي عبد الله حطاب – أرنولد توينبي صـ ٢٩٥ .
بمجلة (عالم الفكر) بالكويت . المجلد الخامس أبريل – مايو – يوليو – سنة ١٩٧٤ م ولاشك أنه قد حدث مثل ذلك في المؤتمر الثاني – سنة ١٩٤٦م عقب الحرب العالمية الثانية إذ قال : (إن الساعات الكبيرة التي أنفقتها في المؤتمرين الأول في مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩م والثانية سنة ١٩٤٦م مصغيًا ، أصبحت جزءًا قيّمًا جدًا من ثقافتي)

(٢) ينظر كتاب ريجينا الشريف . الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز (عالم المعرفة) الكويت ربيع الأول سنة ١٤٠٦ هـ – ديسمبر سنة ١٩٨٥ م . صـ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ .

إن الاستعمار كظاهرة صاحبت الإنسان والمجتمعات البشرية على مدار التاريخ، تعبر عن محاولة سيطرة القوة الغاشمة على أصحاب الحق الضعفاء وأخذت تلبس أثوابًا مختلفة كانت أحيانًا عسكرية أو اقتصادية وسياسية أو الآن في ظل ما يسمى بالشركات متعددة الأجناس . ويخبرنا التاريخ بأن هذه الظاهرة إما تظهر على السطح سافرة واضحة تمثل غلبة القوى الشيطانية على قوى أو أهل الحق الضعفاء، أو تتخفى في أشكال وتلبس أردية لتخفي وجهها القبيح .

ولكنها ظلت موجودة ومازالت ماثلة أمامنا .

وما جاء الأنبياء والرسل ﷺ إلا لإنقاذ البشر من الوقوع تحت براثن قوى البغي فنادوا بالتوحيد أولًا لتحرير البشر من عبوديتهم للملوك والأباطرة والكهنة إلى العبودية لله وحده .

وهل نغفل الآية الكريمة : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

حقًا إنهم أعداء لله تعالى وأعداء أهل الحق !

لقد أحكم أخطبوط الاستعمار بأنواعه المختلفة (عسكرية - اقتصادية - ثقافية - سياسية - اتصالية) وأخذ يفرض أساليب جديدة متنوعة تبعًا لأحوال ضحاياه حيث ظهرت في العصر الحاضر أحدث وسائله فيما يسمى (بالشركات متعددة الجنسية)، وفرض سيطرته على الدول التي استقلت صوريًا بحيث جعلها لا تستطيع الحياة إلا تابعة للنظام الاقتصادي الدولي الذي تسيطر عليه الدول المتقدمة (أي المستعمرة) [1] .

---

(١) الاستعمار كظاهرة عالمية (حول الاستعمار والامبريالية والتبعية) د. حورية توفيق مجاهد صـ ١٧٧ ،
=

إننا لا ننكر الدوافع المختلفة التي أشار إليها الباحثون وراء ظاهرة (الاستعمار) كالتخلص من الزيادة السكانية أو نشر ثقافة وأيدولوجية ، أو عوامل نفسية وغيرها – ولكن تبقى نظرية البقاء للأقوى أكثر وضوحًا وظهورًا على أحداث التاريخ ووقائع عصرنا الحاضر أيضًا ، مما يجعلنا نُغلب الرأي القائل بأن الاستعمار (ينتج طبيعيًا عن ظاهرة القوة التي يتميز بها الوضع الدولي) [1] ، أي ستظل السيطرة للأقوى وهي حقيقة تاريخية ومعاصرة ، وإلا فهل نستطيع التغاضي عن استخدام القوة العلنية التي تمارسها القوى المتعالية كالاتحاد السوفيتي في أفغانستان وما تزال في الجمهوريات الإسلامية خاصة أو الولايات المتحدة الأمريكية في دول أمريكا الجنوبية ، وفي بلادنا الإسلامية بواسطة إسرائيل ؟

وبعد الاقتناع بهذا التفسير الماثل أمامنا لم يبق إلا تسليح الأمة بدرعها المعنوي الممثل في عقيدتها الإسلامية مقترنًا بالتسليح المادي الذي عبرت عنه الآية الكريمة بـ ﴿ مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

ولا ننسى أننا أمة ذات رسالة عالمية مكلفة بإنقاذ بني آدم من سيطرة شياطين الإنس ، لم يكن عجبًا إذن أن تتصدى الأمة لمقاومة هؤلاء الغزاة بدافع عقيدتها ، فظهرت حركات المقاومة كلها على أساس الجهاد ببذل الأموال والأنفس لصد الهجمات الاستعمارية ، وكلها تشكل الخلفية الصحيحة لحركة اليقظة الإسلامية المعاصرة ، إذ تعبر عن استمرارية حركة المقاومة ضد الغزو الاستعماري الذي لم ينقطع .

ط عالم الكتب سنة ١٩٨٥ م ، وينظر أيضًا صـ ١٥٠ وصـ ١٥٨

(١) المرجع السابق صـ ٤١ ولزيادة الإيضاح ينظر نفس المصدر صـ ٦٥ ، ٧٠ .



أجل ، فإن الأمة كانت على يقين بأن الإسلام هو درعها لصد الهجمات الخارجية بالجهاد والمقاومة المستميتة التي تعبر في ذروتها عن طلب الشهادة ، وتابعوا إن شئتم حركة الجهاد الأفغانية التي انتصرت على أعتي القوى العسكرية المعاصرة .

وعندما انحسرت موجة الاستعمار بصورة عامة عن بلاد المسلمين ، وفشلت التجارب المستوردة - أو المفروضة علينا - من الشرق والغرب ، عادت الأمة إلى الإسلام في هذه الحالة كثقافة وقيم ونظم للحياة .

حركات المقاومة للاستعمار كانت كلها من منطلق (الجهاد) :

إن حركات المواجهة والتصدي للغزو الاستعماري العسكري انطلقت تحت راية الإسلام وبدافع الجهاد في سبيل الله لمنع الكافرين من احتلال ديار المسلمين وليست بدافع الوطنية أو القومية أو العرقية أو غيرها من (الشعارات) التي جاء الإسلام لدحضها حيث وضع ميزانًا آخر للتقويم بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وحديث الرسول ﷺ : « **لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى** »[1] .

فلا عجب إذن أن قام قادة المسلمين من العلماء والأمراء بحث الأمة على الجهاد ودفع مخاطر المعتدين ، ولم يأبهوا بتفوق جيوش الغرب في السلاح والعتاد - منهم عبد القادر في الجزائر ، والمهدي في السودان - كما انفجرت الثورات في أفغانستان والهند وفي أواسط آسيا ، وانتشرت حتى امتدت شرقًا فبلغت الأقطار

---

(١) الحديث : « إن الله أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي ، أو فاجر شقي ، الناس بنو آدم ، خلق من تراب ، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » [رواه الترمذي] .



الصينية، فثار الصينيون ثورتهم الكبرى في تركستان الصينية، واشتعلت الثورة في جزائر الهند الشرقية (أندونسيا) ضد هولندا[1].

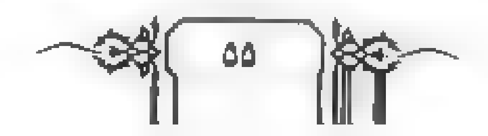
ولكي نواصل خط السير، وربط حلقات السابق باللاحق، ونعرف حقيقة أنفسنا في الوقت الحاضر، يجب علينا بحث إحدى حلقات السلسة المفقودة فنقف لنبحث – هل أخفقت هذه الحركات الإسلامية إخفاقًا تامًا؟ أم أنها مع إخفاقها في صد الغزو الاستعماري بقيت مشتعلة تحت الرماد تغذي الأجيال تلو الأجيال؟

وهل نحن في حاجة إلى تذكرة البعض بأن عقيدة الإسلام هي درع الأمة، صدت به عن نفسها الغزوات والأخطار، ومازال هذا الدرع وحده الكفيل بوقوفها على أرجلها من جديد بعد أن ترنحت وفقدت توازنها بسبب الجراح الثاخنة والطعنات الموجعة؟ وإذا كان الجسد قد ترنح وفقد توازنه، فإن الروح مازالت قوية صامدة تتحدى الطعنات!

لذلك فنحن في حاجة فقط إلى تذكرة بعض أبناء جيلنا بهذه الحقيقة التاريخية الثابتة – حيث نسى البعض منا ذلك بسبب المعالجات المغرضة لتاريخ أمتنا حيث ساهمت القوى الغازية وأعوانها في إسدال ستار النسيان على حقبة الاستعمار وقصص شعوبنا في مقاومته لكي تبقينا في دوامة الحيرة، باحثين عن أنفسنا وعن وسائل المقاومة الحديدة بإعادة توازننا لكي نستأنف خط سيرنا مرة أخرى من حيث انتهى أجدادنا وآباؤنا إلى مقاومة الاستعمار من منطلق العقيدة الإسلامية

---

(١) لوثروب ستودارد: «حاضر العالم الإسلامي» جـ١ صـ ٧٣، ٨٣، ٩٣، ١٠١، ١٠٢ ترجمة عجاج نويهض وتعليق وتقديم الأمير شكيب أرسلان طـ٤ القاهرة ١٣٤٣ هـ - المطبعة السلفية.



وهويتنا الحضارية الذاتية الأصلية .

فهل نستطيع أن نذكر أنفسنا وبني قومنا مرة أخرى بهذه الوقائع التي سجلها التاريخ ؟

ربما يواجهنا سؤال عن سبب إخفاق هذه الحركات بينما نجحت حركات مماثلة سابقة في صد الغزاة أيام الصليبيين والتتار . وسنحاول الإجابة على هذا السؤال أولًا قبل الدخول في بيان وقائعها بالتواريخ والأرقام .

ربما يرجع أسباب إخفاق هذه الحركات في التصدي في البداية لأن القوى الغربية كانت متفوقة عسكريًا ، حيث جابه المسلمون قوى أعتى منهم ، كذلك فإن التوقيت الزمني عند الاصطدام كان في صالح القوى الغازية لأنها كانت في فترة ذهبية ولأنها كانت تستند إلى مجتمعات متفوقة علميًا واقتصاديًا وسياسيًا ، وما الجيوش إلا رأس حربة لها . هذا ، بينما افتقدت القاعدة الجماهيرية المسلمة التي يستند إليها الأبطال المسلمون نفس المزايا ، بل إن المجاهدين كانوا بمثابة طلائع فئة متفوقة بمواهبها وقدراتها وعبقريتها الخاصة ، فلما استشهدت أو ماتت لم تكن كوادر الصفوف الثانية على نفس المستوى ، فضلًا عن الجماهير التي أنهكتها المقاومة مع تزايد الأساليب الشرسة التي استخدمها الاستعمار في القهر .

وكما أن الأسلحة مهما بلغت قوتها تحتاج إلى ذخيرة ، فإذا نفذت لم تعد لهذه الأسلحة أية فاعلية ، كذلك فإن استشهاد هذه الطلائع أصاب حركات الجهاد الإسلامي بطعنات مؤثرة ولكنها ليست قاتلة ، لأن الجذوة ظلت مشتعلة .

ولا شك أن القوات العسكرية الغازية كانت تستمد مقومات النصر من التفوق الغربي في العلوم التجريبية ونتائجها المتحققة في تطوير الأسلحة وتنظيم

الجيوش بقواتها الثلاث البرية والجوية والبحرية فضلًا عن الكوادر المنظمة وراء هذه الجيوش حيث تموّنها وتخدمها وتقدم لها العنصر البشري وتمدها بالأسلحة والذخيرة والخبرات العلمية والعسكرية بالكليات المتخصصة .

ومما يجدر ذكره أيضًا ظهور عناصر الخيانة ، وتجنيد ذوي النفوس الضعيفة التي لا تخلو منها أمة أو مجتمع ، بإغراء الأموال والمناصب وغيرها من المغريات .

وتصبح خطوتنا التالية تفسير وتحليل حركات المقاومة التي جابهت الاستعمار وقاومته ببسالة وقدمت التضحيات تلو التضحيات ولم تحقق إلا لأسباب خارجة عن إرادتها :

حركات مقاومة الاستعمار :

سنعتمد في دراستنا على بحث قام به عالم غربي هو الدكتور رودلف بيترز الذي سجّل حركات مقاومة المسلمين للاستعمار في المناسبات الآتية تبعًا لتاريخها الزمني :

١ – مقاومة المسلمين للاستعمار البريطاني في الهند .

٢ – المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر ضد الاستعمار الفرنسي .

٣ – الحركة المهدية في السودان .

٤ – المقاومة المصرية بقيادة أحمد عرابي ضد الاحتلال البريطاني لمصر .

٥ – مقاومة السنوسي للاستعمار الإيطالي في ليبيا .

٦ – إعلان الجهاد العثماني سنة ١٩١٤ م .

٧ – المعارضة الدينية لاستعمار البريطاني وللصهيونية في فلسطين [١] .

أما تحليل أسباب الإخفاق في هذه الحركات – التي كانت لعقيدة الجهاد أهمية كبرى في مقاومة الاستعمار الغربي – هذه الأسباب ترجع إلى عوامل مختلفة سنعرض لبعضها حيث تعود في أصولها إلى مال ظهر من خيانة في صفوف بعض حركات المقاومة أو تفوق القوة العسكرية لدول الاحتلال أو استخدام بعض علماء السوء لإستصدار الفتاوى لتبرير ترك المقاومة المسلحة .

١ – في الهند استطاعوا تجنيد سيد أحمد خان حيث استجاب لهم بإصدار فتوى يزعم فيها أن الجهاد ضد الإنجليز غير شرعي [٢] .

وكان الإنجليز قد أفردوا المسلمين – دون الهندوكيين – بالقهر المتعمد ، فأبعدوا المسلمين من الوظائف الحكومية والقضاء والشرطة وأحلوا محلهم الهندوكيين بأعداد متزايدة إذ أظهروا استعدادًا أكبر للتأقلم مع الظروف الجديدة [٣] .

٢ – الجزائر :

واستندت حركة مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر أيضًا إلى العقيدة الدينية حيث (اتخذ الأمير عبد القادر الإسلام باعتباره قوة توحيد يجمع القبائل بعضها إلى بعض وليتغلب على النزعات القبلية الضيقة الكامنة في المجتمع الجزائري) [٤] .

---

(١) الإسلام والاستعمار (عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث) صـ ٥٧–٥٨ والمؤلف أستاذ بمعهد الدراسات العربية الإسلامية بجامعة أمستردام . الترجمة العربية – دار شهدي للنشر بالتعاون مع المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية – القاهرة سنة ١٩٨٥ م وقد اعتمدنا على هذا الكتاب كمصدر رئيسي في عرض حركات المقاومة الإسلامية للاستعمار العسكري الغربي .

(٢) المرجع السابق ٦٨–٦٩ .

(٣) المرجع السابق صـ ٧٠ .

(٤) المرجع السابق صـ ٧٤ ، ٧٥ .

كذلك بذل ما في وسعه للحكم بمقتضى الشريعة ومحافظًا في الوقت نفسه على عقيدة التوحيد حيث حمل حملة شعواء على البدع وخاصة تقديس الأولياء واعتبر النضال ضد الفرنسيين جهادًا .

٣ – السودان :

وقامت حركة المهدي ١٨٤٤ – ١٨٨٥ م في السودان أيضًا على أساس إنشاء دولة تحكمها مبادئ القرآن والسنة ، وكان أتباعه يبايعونه على ذلك .

٤ – حركة أحمد عرابي في مصر :

كانت حركة أحمد عرابي ضد الغزاة الإنجليز نابعة من عقيدة الجهاد فقد نشرت (الوقائع المصرية) وهي الجريدة الرسمية لمصر إعلان الجهاد ، ودعا العلماء في طول البلاد وعرضها إلى الجهاد وحثوا المصريين على تأييد الجيش ضد الكفار .

والقارئ لصيغة الإعلان يلاحظ أنه كان يدعو إلى نصرة الدين لردع كل من العدو والخائن الحقير (الخديوي) ويتضمن قول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

[التوبة : ١٢٣]

وعلل كثير من العلماء في بياناتهم للشعب سبب الغزو إلى سلوك الحكام المخالف للإسلام واتخاذهم الكفار أولياء واقتفاء آثارهم في التعامل والسلوك بلا مبالاة بأحكام الإسلام [١] .

(١) المرجع السابق صـ ١٠٢ ، ١٠٣ .



٥ – السنوسي في ليبيا :

من المعروف أن الطريقة السنوسية كانت في الأصل تلتزم بالإسلام وتسعى إلى تطهيره من البدع الدخيلة . كما عارض أتباعها كل من ثورة تركيا الفتاة العلمانية سنة ١٩٠٨ م وخلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩ م .

وعندما أقدمت إيطاليا على احتلال ليبيا أصدر السيد أحمد الشريف (١٨٧٣م – ١٩٣٣م) – وهو حفيد مؤسس الطريقة – بيانًا بالجهاد موجهًا إلى كل المسلمين وبخاصة في البلاد التي احتلها أعداء الدين تضمن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على الجهاد .

وقد ظلت حركة المقاومة مستمرة بصورة أو بأخرى منذ إعلان ذلك البيان سنة ١٩١٢م مما اضطر الإيطاليين للاعتراف بسيادة السنوسية ثم تغير الوضع بوصول الفاشيين إلى الحكم في إيطاليا إلى أن انتهى النضال بقيادة الشيخ البطل عمر المختار الذي استشهد سنة ١٩٣١ م [١] .

٦ – الجامعة الإسلامية وإعلان الجهاد في الخلافة العثمانية :

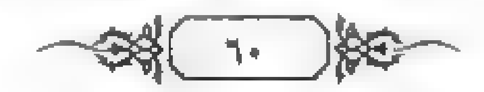
وكان إعلان الجهاد أيضًا هو وسيلة الخلافة العثمانية في حربها مع الروس والفرنسيين والإنجليز عام ١٩١٤ م حيث صدرت عدة فتاوى تستحث المسلمين في البلاد [٢] الخاضعة لحكم هذه الدول على الجهاد والثورة على حكامهم .

---

(١) المرجع السابق صـ١٠٧ – ١١٣ .

(١) مثل القرم وقازان وتركستان وكيفا والهند والصين وأفغانستان وفارس وأفريقيا وغيرها . والجدير بالذكر أن الشريف حسين والي مكة المكرمة رفض الارتباط علنًا بالجهاد العثماني ، وكان الإنجليز قد فاتحوه من قبل بخطط ثورة عربية ضد الأتراك .

ويعتبر موقف حسين هذا مخالفًا لما كان عليه كثير من المثقفين المسلمين المتوجسين خيفة من تزايد النفوذ =



ويعلل مؤلف كتاب (الإسلام والاستعمار) عدم اندلاع أي ثورة مناهضة للاستعمار بالقمع الذي مارسته السلطات الاستعمارية إذ اعتقلت الزعماء الموالين للأتراك وحظرت كل الكتابات الموالية للأتراك، ولكنها في الوقت نفسه استصدرت الفتاوى من بعض علماء السوء مؤداها أن طاعة بريطانيا فريضة شرعية، أي عرفت كيف تطوّع المفاهيم الدينية لصالحها بناء على فهم ووعي بنفسية الجماهير.

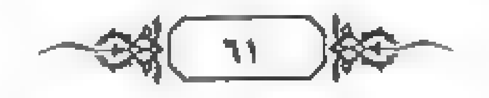
ويبدو هذا التصرف معقولًا لدولة تسعى لتحقيق مصالحها وفق مبادئ ميكافيللي السياسية، ولكن الأمر يشكل عقبة أمامنا عندما نحاول فهم تصرف (الشريف) حسين الذي خُدع بوعود الإنجليز عن منح العرب (الاستقلال) إذا شاركتهم في حربها للدولة العثمانية.

ونقف مشدوهين أمام الجيش العربي بقيادة فيصل بن حسين الذي حقق حلم الإنجليز – ومن ورائهم الغرب بأسره – عندما أسهم مساهمة فعّالة في دخول القوات البريطانية إلى أرض فلسطين بقيادة (اللنبي) الذي أعلن بسرور بالغ (الآن انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين) !!!

ولا يعلم إلا الله تعالى ماذا كان سيحدث لو لم ينضم العرب بقواتهم العسكرية إلى الإنجليز عونًا وتدعيمًا حتى تحقق النصر على الدولة العثمانية، إلا

الاقتصادي والسياسي الغربي في العالم الإسلامي وكانوا يميلون إلى توحيد المسلمين جميعًا تحت زعامة السلطان العثماني حيث يرون أنه الوسيلة الوحيدة لمقاومة السيطرة الغربية. (الإسلام والاستعمار صـ ١١٦، ١١٧)

وانتصر الإنجليز على الأتراك بفضل القوات العربية وكان جزاء الشعوب العربية جزاء سنمار حيث خضعت بلادهم لاستعمار الدول المنتصرة، وكانت مأساة فلسطين



أننا لا نستطيع تبرئة (الشريف) حسين من الطعنة التي طعن بها ظهره – وظهر العرب والخلافة الإسلامية معه – وسجّل له التاريخ هذا التصرف القاتل الذي لا يخرج عن كونه إما (غفلة) أو خطأ سياسي دفع العرب والمسلمون ثمنه غاليًا ومازالوا !!!

وبعد ، فليعذرنا القارئ للإطالة في تناول هذه الأحداث ، لا لشيء إلا لكي نعيد للذاكرة الدور الذي أداه الأجداد ، ومن ثمَّ فقد أصبحنا مسئولين عن استئنافه بعدهم ، مستفيدين من تجاربهم بدلًا من رفع الرايات من الشرق والغرب أو استخدام الإيديولوجيات المستوردة ، وافتعال (الثورات) وغيرها من وسائل ثبت إخفاقها .

كما نتوجه بهذه النتائج أيضًا إلى بعض مثقفينا من ضحايا (التضليل) الثقافي الاستعماري ، الذي تعمد تشويه تاريخنا وإخفاء معالمه البارزة ذات الفاعلية المؤثرة في سير الأحداث التي انحدرت إلى ما نحن عليه في العصر الحاضر .

ولا نريد تفريع المسائل أكثر من ذلك فإن مصادرها موجودة ، ولكن نريد الوقوف على ملاحظتين تشتركان في تفسير ما صرنا إليه :

الأولى : نجح الاستعمار وأعوانه في إحلال أفكار الوطنية والقومية محل العقيدة الدينية التي ظلت تحرك الأمة طيلة القرون الطويلة تحت راية الجهاد ، ومن ثمَّ أخذت روح المقاومة في الضعف التدريجي ، كما أفقد الأمة سلاحها في مقاومة الغزو العسكري الخارجي .

الثانية : استبدال القوانين الوضعية المستوردة بالشريعة الإسلامية ففقدت الأمة سلاحها الثاني في المقاومة – أي الإبقاء على تماسكها الداخلي وأيديولوجيتها الموحدة .

وفي ضوء متابعة هذه الحقائق الثابتة في تسلسلها إلى عصرنا الحاضر، يمكن بسهولة إقناع مثقفينا المتأثرين بالتوجيهات الثقافية الغربية، بأن تطبيق الشريعة الإسلامية في الداخل وإقامة العلاقة الخرجية مع شعوب الأمة الإسلامية وفق مبدأ الوحدة الإسلامية، يمكن إقناعهم بأن تنفيذ هدين المطلبين يعد بمثابة (تصحيح) أوضاع أمتنا لاستئناف خط سيرها المرتبط بعقيدتها وحضارتها وتاريخها، ذلك لأن القوانين الوضعية المطبقة حاليًا فُرضت عى شعوبنا بالقوة، كذلك أُكرهت الأمة على التجزؤ والتفتت عقب القضاء على الخلافة العثمانية فتحول الجسد الواحد إلى أوطان متفرقة متناحرة أكثر منها متآلفة.

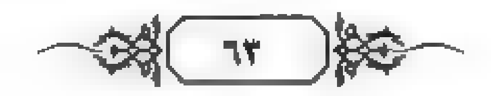
ونود استخلاص مغزى أخير بعد هذا العرض الموجز، حيث تصبح حركة (اليقظة الإسلامية) معبرة عن روح الأمة الأصيلة وتشوقها إلى تراثها وقيمها، ومستأنفة لجهود أجدادها.

لقد خاض الكثيرون في تعليل حركة هذه اليقظة، ولكن أغلبهم فاتهم متابعة حلقات المقاومة الإسلامية لكل ما هو أجنبي ولكن ينبغي التعرف على الخيط الرابط بين حركات المقاومة الإسلامية التي بيناها آنفًا على امتداد العالم الإسلامي بأسره.

فبإزاء المخططات العدائية للإسلام، بقى الإسلام صامدًا وتهافتت أمامه التحديات وبقيت الأمة – بالرغم من مظاهر الهزال والضعف البادية – قوية بعقيدتها.

وبعبارة أخرى، على السطح تغيرت النظم وبعض العادات وحلت محلها ملامح (التفرنج) ولكنها تمثل قشرة سطحية لم تنفذ إلى الأعماق.

فقد بقى قلب الأمة حيًا ينبض وستظل كذلك مادام هناك أذان يرفع خمس



مرات في اليوم معلنًا (الله أكبر) وصلوات تقام ، وصيام يؤدى وحج تقام شعائره كل عام بانتظام (وها نحن أيضًا أمام فهم من زاوية جديدة للحكمة من شعائر العبادات) .

ومع ازدياد حملات التغريب والتسميم الفكري وفرض تجارب الأنظمة الشرقية والغربية ، ومظاهر الفشل الذريع أمام المآسي التي ظهرت للعيان في الحروب العسكرية حيث الهزائم الساحقة ، والخراب الاقتصادي ، والانهيار الأخلاقي ، أمام كل هذه النتائج نشأ الجيل الجديد وقد تلقى الدرس ووعى التجارب فاستند إلى جدار الإسلام ونبذ الأيدولوجيات والنظم المستوردة .

يقول الدكتور حامد ربيع : (إن اليقظة الإسلامية في حقيقتها بالنسبة للأمة العربية هي حركة مقاومة ضد الاستبداد السياسي والغزو الحضاري الأجنبي ، وهي أيضًا تطور يسعى إلى ربط الماضي بالحاضر) [1] .

الأدوار التاريخية التي مرت بها الأمة الإسلامية في العصر الحديث

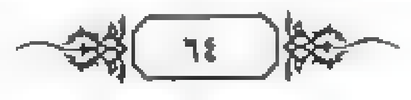
قبل تشعب موضوعات البحث والاستغراق في دراسة قضاياه المتنوعة ، سنعطي فكرة تمهيدية عن الأدوار التاريخية والتطورات المتلاحقة التي مرت بها الأمة في العصر الحديث عند اصطدامها بالاستعمار الغربي :

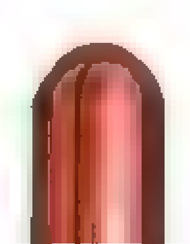
١ - أحوال العالم الإسلامي قبل الغزو الاستعماري إذ كانت الحملات الاستعمارية في حقيقتها تستهدف إجهاض الأمة لا الأخذ بيدها لمسايرة الحضارة . والنموذج المعبر لها ها هنا يتمثل في حملة نابليون على مصر [2] .

---

(١) د. حامد ربيع ، الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإرادة التكامل القومي صـ ١٧٢ ، طـ دار الموقف العربي بالقاهرة سنة ١٩٨٢ م .

(١) يقول رجاء جارودي : (... فلقد أعطى استيلاء نابليون على مصر سمة جديدة لعلاقة الغرب بالشرق ... إنها =



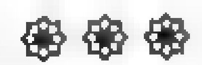


٢ – كانت الشريعة الإسلامية هي التي تسود المجتمعات في نظم التعليم والاقتصاد والتجارة .

٣ – انطلقت حركات المقاومة من عقيدة الجهاد .

٤ – عندما أصبح العالم الإسلامي في قبضة الدول الأوروبية أخذت تفرض عليه نظمها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، كذلك فرضت عليه آدابها وفنونها وقيمها وعاداتها وأنماط سلوكها في الحياة بشتى شعبها ، وكلها كانت مخالفة لعقائد الأمة الإسلامية وشرائعها ، ومشوهة لذاتيتها ومعالم أصالتها وتفردها .

وشرح ذلك يقتضي بيان أساليب الغزو الثقافي .



قبل كل شيء علاقة تقوم على الخداع والسيطرة .. كما أعلن بونابرت بيانه إلى سكان الإسكندرية الذي جاء به يقول : « .. نحن المسلمون حقًا وصدقًا » من كتابه (ما يعد به الإسلام) صـ ٢٣٥ ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم دار الوثبة – دمشق ١٩٨٣ م .

الفصل الخامس

أساليب الغزو الثقافي والعقائدي

(أو الاستعمار المقنّع)

أساليب الغزو الثقافي والعقائدي

(أو الاستعمار المقنّع)

ظل الاستعمار العسكري في العالم الإسلامي تتفاوت مدة بقائه بين نحو قرن وقرنين وثلاثة قرون [1] ، ومنها ما ظل قائماً للآن – وهو الاستعمار الروسي للبلاد التي كانت تابعة من قبل لدولة الإسلام (في شكلها الأخير أي الخلافة العثمانية) ، ثم الاستعمار الاستيطاني بأرض فلسطين .

إن السنوات الطوال التي مكث فيها الاستعمار ببلاد المسلمين – ومازال بصورة أو بأخرى – يفيدنا في الاستدلال على طول الزمن الذي استغرقه الاستعمار العسكري قبل أن يضطر إلى سحب قواته النظامية تحت ضغط المقاومة الباسلة المستمرة للشعوب ، وفي الوقت نفسه يجعلنا ندرك أدواته وأساليبه التي أخذت تعمل – وباستمرار – في الخفاء ، فهي لون من الاستعمار المقنع الذي يتستر وراء أتباعه وجنوده من عملاء الشرق والغرب .

وتتلخص هذه الأساليب ، إما في محاولة سلخ البلاد المستعمَرة (بفتح الميم) من عقيدتها وهويتها وجعلها تابعة للدولة المستعمِرة (بكسر الميم)، كما فعلت فرنسا في شمال أفريقيا بمراكش وتونس والمغرب والجزائر ، أو التدرج في اتباع هذه الوسائل ، كفرض قوانين وضعية من فرنسا وبلجيكا وانجلترا وغيرها بدلاً من الشريعة الإسلامية ، ومحاربة اللغة العربية بوسائل شتى لكي تقطع الصلة بين

---

(١) بقي في الهند نحو ١٨٧ عامًا وفي الجزائر نحو ١٢٥ عامًا وفي مصر نحو ٧٢ عامًا وفي أندونيسيا نحو ثلاثة قرون ونصف .



الأمة وبين مصادر عقيدتها بالكتاب والسنة ، وإثارة أفكار ونظريات تدور حول إعلاء قيم الوطنية والقومية وإحياء النعرات الشعوبية لتجزئة العالم الإسلامي واستبدالها برابطة العقيدة الإسلامية التي تؤاخي بين المسلمين في العالم كله مهما تباعدت أطرافه وناءت دياره وهي القيمة السياسية الكبرى التي تجعل المسلمين أمة واحدة لها صبغة العالمية مهما اختلفت أوطانهم وأجناسهم وألوانهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] ، وقال ﷻ : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون . ٥٢] .

كذلك اتبع الاستعمار وسائل أخرى في مناهج التعليم للفصل بين العلوم بفروعها المختلفة وبين الدين وكأنها تعارضه ولا تتفق معه ، والاعتداء على طريقة تدريس الدين نفسها لكي لا يصبح مادة دراسية مؤثرة في تربية الأجيال الجديدة ولا تحتل من عقل النشء أو قلبه إلا جزءًا يسيرًا مشوهًا لا صلة له بتنظيم الحياة وتوجيه السلوك .

إلى جانب طرق أخرى أشد ضراوة ، مثل محاولات تبشير (أو بمعنى أدق : تضليل) المسلمين أو انتزاعهم من إسلامهم أو تحويلهم إلى (لا دينيين) ، وإنشاء مدارس تعليم على النمط الغربي كالفرير والفرنسسكان والميردي ديو وسان مارك والليسيه وكلية فكتوريا والجامعة الأمريكية ، وهي كلها تقتطع من المجتمعات الإسلامية شرائح تربيها وفق مناهج تربية غربية خالصة فتنشأ أجيال متقطعة الصلة بأمتها وتراثها ، وربما تحول البعض إلى العداء لأمته والتحيز لأساتذته ومعلميه .

كذلك تدخل الاستعمار الإنجليزي في مصر مثلًا لفصل التعليم الديني

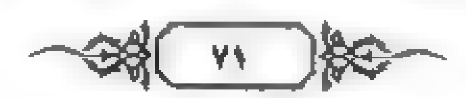
التابع للأزهر ومعاهده عن التعليم المدني التابع لوزارة المعارف، وسيطر (دنلوب) على هذه الوزارة ومناهجها لكي تخرّج موظفين للعمل في الحكومة وتتدرج في الوظائف الرسمية إلى أعلى الدرجات، بينما يلقى خريجي الأزهر الإهمال ويحصلون على الرواتب الأقل.

وامتدت أذرع الغزو أيضًا إلى الصحافة لاستخدامها للدفاع عن الاستعمار وأعوانه وتبرير تصرفاته ومهاجمة المقاومين له تحت ستار نقد العنف والتطرف والدعوة إلى اتباع الحكمة واستخدام العقل. فضلًا عن استخدام الآداب والفنون لإثارة الغرائز والشهوات، وتحبيذ الانحلال، والعمل على تفكيك الأسر المسلمة بإثارة قضايا مفتعلة كقضية عمل المرأة والزواج بأكثر من أربع والطلاق ومشروعيته وحدوده .. إلخ.

وقد تفاوتت طرق التعريب بين الأساليب الهادئة الهادفة للتغيير على المدى البعيد، وبين الطرق التي تتخذ من العنف وسيلة للتغيير السريع. ومن أقسى صورها ما قام به (بطرس الأكبر) في روسيا حيث أكره الرعايا المسلمين **على حلق اللحي وحرم عليهم ارتداء القفاطين** !! ويذكر توينبي استطرادًا للحديث عن عملية التغريب بالإكراه (وأبرزت ظروف مماثلة – منذ الحرب الأولى ١٩١٤م – ١٩١٨م أفعالًا تعسفية مشابهة في عدد من الأقطار الغير أوروبية، فثمة مثلًا قانون سنة ١٩٢٥ م التركي الذي فرض على جميع المواطنين الأتراك إرتداء القبعة ذات الحافة)[1].

---

(١) توينبي: موجز تاريخ العالم جـ٢ صـ٤٠٣، وإذا عاد بعض الشباب المسلم إلى إطلاق اللحي ولبس القفاطين أثارت أجهزة الإعلام ضجة كبرى بلا مبرر، بل يعتبر هذا التصرف التلقائي ببساطة عن الحنين إلى =



وقد تطورت هذه الأساليب – ومازالت – حيث أخذت طرقًا أخرى متشبعة بما لا يخفى على كل مراقب لحركات التسميم الفكري والغزو الثقافي والتحطيم الأخلاقي ، وساعد على ذلك الاجهزة الحديثة كالتلفاز والفيديو .

كما ابتدعت الصهيونية أساليب إضافية في الفتك المعنوي بالشعوب أيضًا – فضلًا عن الفتك الاقتصادي والسياسي – وهذه الأساليب تتغلغل في النفوس عن طريق الصور والأفلام الفاضحة والموسيقى الصاخبة وغيرها .

فمن وسائل الصهيونية لإهلاك الشعوب والسيطرة عليها ما يمتد لكل الجوانب في حياة الشعوب منها :

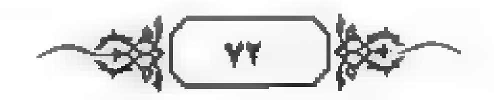
١ – ابتداع بعض الموسيقات الصاخبة وتصديرها للدول والشعوب لتسمعها مع العلم بأن بعض علماء الطب أثبتوا (أنها تؤثر على أنسجة وخلايا معينة بالمخ فتحدث بها اضطرابات نفسية أو عصبية قد يمتد أثرها على الفرد إلى ستة شهور) .

كذلك فإن بعض أساتذة الطب العالميين اكتشفوا أن الرقصة المسماه (بالديسكو) تسبب نزيفًا في المخ قد يؤدي إلى الموت أو على الأقل لها أخطار أخرى [(١)] .

٢ – تستخدم (موضات) الثياب وفق أدق أساليب علم النفس لكي تتسلل أهدافهم دون شعور ، حيث يبدأون بأشياء بسيطة غير ملفتة حتى يتعود الناس

العودة إلى الذات والتحرر من التقليد ، فضلًا عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تنهي عن متابعة وتقليد غيرنا من الأمم .

(١) سعاد منسي (انتبهوا .. البشرية في خطر) صـ ٧٦ مطابع دار الشعب بالقاهرة – بدون تاريخ .



على قبول المبدأ أولًا ، تقول الباحثة سعاد منسي في كتبها عن انظر . (أخطر مؤامرة على العالم كله) : (فيرسم لك مثلًا خطًا غريبًا لا معنى له ولا فكرة أو رسمًا سيرياليًا لا يعني ولا يعبر عن أي شيء فوق قميصك أو على ذراعك ، أو على مؤخرة بنطلونك .. ثم يضع أسم المصنع ويجعل منك مندوب إعلانات مجاني) .

ولا يتوقف الأمر عند ذلك حيث يقوم في مرحلة تالية بالعمل على (قتل نفسك وعقلك ومحو شخصيتك ، فيكتب لك ويرسم أشياء فاضحة قذرة المضمون ..) .

ومثال ذلك عثور الكاتبة على شعار مكتوب على فخذ بنطلون نصه (أنا متعفن أو أنا مهترئ حتى الأعماق) [1] .

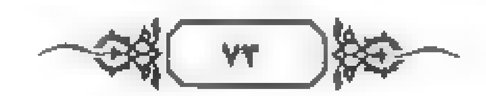
(I am rotten until the bottom) .

هذا ، ومازالت أجهزة الإعلام في الشرق والغرب ، والتي تصل أصداؤها إلى العالم كله ، توجه حربها النفسية إلى المسلمين ، لكي تحطم معنوياتهم بالأخبار الكاذبة أو تفسيراتها المصطنعة أو تعليقاتها المسمومة ، كلها بغرض زلزلة نفسية المسلمين وتحطيم روحهم المعنوية وافقادهم روح المقاومة بعد تغذية إحساسهم باليأس ، هذا فضلًا عما هو ملاحظ من تشويه التاريخ والطعن في الشريعة وتوجيه المغامز إلى الرسول ﷺ وتعمد التجهيل بفضل الإسلام على حضارة أوروبا [2] .

يقول جارودي : (فقد كان الشاغل الأساسي للمستعمر هو أن يقوض ثقة

(١) نفس المصدر صـ ٧٧ .

(٢) وإن خفت حدة هذا الأسلوب عند بعض المستشرقين ، ونذكر منهم مونتجومري وات بكتابه (فضل الإسلام على الحضارة الغربية) ترجمة حسين أحمد أمين ط دار الشروق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .



الشعوب المستعمرة في نفسها، لقد سعى جاهدًا ليدمر اعتزاز الشعوب بماضيها)[1].

لذلك فقد أصبح لزامًا علينا لمواجهة آثار الاستعمار، أن نضع الخطط المضادة بحيث نبرز الجوانب المضيئة في حضارتنا وتاريخنا بحيث تعزز ثقتنا بأنفسنا وتثبت أقدامنا في وجه هذه الحضارة بجناحيها الشرقي والغربي التي لا تسمح لغيرها بالحياة إلا وفق فلسفاتها ونظمها، بحيث يصير تابعًا لها. **والمسئولية في هذا الصدد تقع في المقام الأول على رجال التعليم في وزارات التربية والتعليم والجامعات والإعلام**، وينبغي أن تصب جهودهم كلها في خدمة هذا الهدف الجليل وهو نوع من الجهاد في سبيل الله تعالى.

❀ ❀ ❀

هذه هي الملامح العامة للنتائج التي حققتها القوى الاستعمارية ليتضح لنا..

أولاً: الجرائم التي ارتكبت في حق الأمة الإسلامية ومازالت تُرتكب على أرض فلسطين وفي الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى الواقعة تحت سيطرة الروس وظهرت بصورة أقسى في أفغانستان، وحملات التنصير المنظمة المدعومة بواسطة الغرب في أندونيسيا وجنوب شرق آسيا وأفريقيا واضطهاد الأقليات الإسلامية في شتى البلدان.

ثانيًا: بيان الواجبات والمسئوليات الجسام على عاتق فصائل حركة اليقظة الإسلامية بضرورة وضع خطة استراتيجية لمقابلة ذلك كله، وإزالة آثاره لكي تعود الأمة إلى ذاتها الأصيلة بعقيدتها الصحيحة ونظمها الشرعية وأخلاقياتها

---

(١) محاضرات جارودي – مجلة الطليعة، بمصر سنة ١٩٧٠ م.



الرفيعة وتعرف رسالتها المنوطة بها .

إلى جانب تصحيح العقيدة وصياغة المفاهيم الإسلامية وتوضيح أهميتها ، بالإضافة إلى ذلك وضع الخطط البديلة لإزالة آثار التغريب والتبعية .

وبعد ، فقد ظن الاستعمار أنه أفلح في سلخ الأمة عن دينها ، ولم يتنبه إلى أن ما حققه من نجاح ، كان لم يلق بالًا إلى حركات المقاومة وآثارها على الأجيال الجديدة ، وبما تختزنه الأمة في أعماقها من تراثها الخالد – ممثلًا في الكتاب والسنة – وهو الذي أبقى على حياتها وحيويتها !

ومثالنا على ذلك ما قاله المستشرق جب بعد ملاحظته للعالم الإسلامي (الواقع أن الإسلام بوصفه عقيدة لم يفقد إلا قليلًا من قوته وسلطانه . ولكن الإسلام بوصفه قوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية فقد فقد مكانته . فهناك مؤثرات أخرى تعمل إلى جانبه وهي - في كثير من الأحيان - تتعارض مع تقاليده وتعاليمه تعارضًا صحيحًا . ولكنها تشق طريقها بالرغم من ذلك ، إلى المجتمع الإسلامي في قوة وعزم ، فإلى عهد قريب لم يكن للمسلم من عامة الناس ، وللفلاح اتجاه سياسي . ولم يكن له أدب إلا الأدب الديني ، ولم تكن له أعياد إلا ما جاء به الدين ، ولم يكن ينظر إلى العالم الخارجي إلا بمنظار الدين) .

ثم يعلن عن فرحه وسروره بما لاحظه آنذاك من نتائج بقوله :

(كان الدين هو كل شيء بالقياس إليه ، أما الآن فقد أخذ يمد بصره إلى ما وراء عالمه المحدود ، وتعددت ألوان نشاطه الذي لم يعد مرتبطًا بالدين) [1] .

---

(١) نقلًا عن كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر جـ ٢ صـ ٢٠٩ للدكتور محمد حسين هيكل .

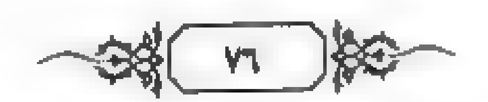
ونحن نرى – بعد ظهور الصحو الإسلامية التي فرضت نفسها – أنها حركات المقاومة للاستعمار الغربي وآثاره.

فقد ظلت الأمة الإسلامية صامدة – بل متحدية – ومازالت ببعض فصائلها تعبر عن امتداد حركة المقاومة الإسلامية الصلبة منذ الحروب الصليبية وحرب التتار، ونعني بصفة خاصة الجهاد الأفغاني وحركة التحرير الجزائرية بقيادة الإمام عبد الحميد بن باديس في العصر الحديث [1].

ومازالت مبادؤنا هي التي تنير لنا طريق العودة إلى الذات وتراثنا بحمد الله تعالى يكفل تحقيق ذلك كله، إذ تكفل بذلك الاتجاه الإسلامي منذ القضاء على الخلافة الذي جعل هدفه الرئيسي المحافظة على أصالة الأمة لتنهض مرة أخرى، ويبدأ في دخول سباق التحدي ثقافيًا وسياسيًا مع أتباع الغرب والشرق الأوروبي، وتمثله الجماعات الإسلامية كالإخوان المسلمين في مصر وسوريا وجمعية علماء الجزائر وندوة العلماء في الهند والجماعة الإسلامية في باكستان وأندونيسيا وحزب السلامة في تركيا.



(١) وتعبر الكلمة التي ألقاها الرئيس الشاذلي بن جديد عن التصور الدقيق لحركة اليقظة الإسلامية الحريصة على تأكيد ذاتها والعودة إلى أصالتها بعد أن تشعبت بها المسالك، قال: (.. لابد إذا كان الشعب الجزائري ينتمي للحضارة العربية الإسلامية والانتماء الروحي للإسلام، فلم يعد هناك اختيار آخر أو تردد من طرف أي مسؤول جزائري، فلابد أن نعطي هذا المحتوى محتواه الحقيقي، ونرجع للأصل ونحن نفتخر بانتمائنا الحضاري العربي الإسلامي، والانتماء الروحي لهذه الأمة الإسلامية) من خطابه أمام اللجنة المركزية يوم ٢٧ / ١٢ / ١٩٨٨ م.





الفصل السادس

الحضارة الغربية
بين المحاسن والمساويء

الحضارة الغربية
بين المحاسن والمساوئ

إن مواجهة التيار التغريبي فيما بيننا يتطلب رؤية أزماتها من وجهة نظر فلاسفة الحضارة الغربية أنفسهم، إذ يجمعون على أن أزماتها مستحكمة فكيف يرى البعض استيراد أفكارها وثقافتها؟

ولا تتحقق الذاتية إلا برفض التبعية لهذه الحضارة. ولكي يكون حكمنا عادلًا سنتتبع هذه الأزمات مع معرفة محاسنها أيضًا.

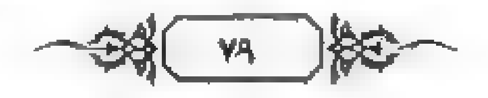
ولكي لا نتهم بالانحياز لوجهة النظر الإسلامية وحدها والصد عن سبيل الحضارة الغربية في مثلها وقيمها وطريقة حياتها سنجتزئ بعض آراء فلاسفة أوروبا أنفسهم ولا نظن أن هذه الآراء صادرة إلا عن معرفة عميقة بنفسية الشعوب هناك وأمراضها وعللها.

إليك برتراند رسل مثلًا يعلل إقدام عدد كبير من السويديين على الانتحار بأنه نتيجة لفقدان العقيدة الدينية، فهم ليسوا شعبًا متدينًا [1].

ويقول في مناسبة أخرى (ففي اعتقادي أن كل متاعب العالم الحديث، فضلًا عن قوة التكنولوجية الحديثة، إنما تكمن في علم النفس الفردي، أو بالأخرى في آلام الإنسان الفردي، فيالها من آلام ضارة ...

ثم يمضي فيقترح العلاج المناسب لهذه الحالة بقوله: **(فلو قدر للإنسان ولو قدر له بصورة أقوى أن يكون سعيداً في عالم متماسك ومتكامل لكان لزامًا عليه**

(١) محاورات برتراند رسل صـ ٣٥ ترجمة وتقديم جلال العشري ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩ م.



أن يعمل على إسعاد جيرانه من البشر مهما كان يكنّ لهم من شعور بالكراهية ..) [1] .

أي أنه يدعو إلى القيم الأخلاقية الكفيلة بإحلال العلاقات الإنسانية الأخوية بدلًا من علاقات العداء المستحكمة التي ستؤدي إلى انفجار العالم كله على أثر الاصطدام في حرب هيدروجينية التي – لو قامت – فإنه يتوقع أن كل فرد على ظهر نصف الكرة الشمالي سيفنى عمليًا كما أن عددًا كبيرًا جدًّا من البشر ، ممن هم على ظهر نصف الكرة الجنوبي ، سيلقى حتفه بفعل الغبار الذري ؟! [2] .

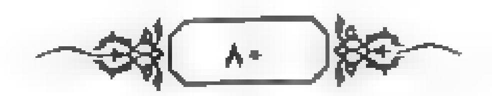
وهناك عالم آخر – هو جوزيف وودكرتش أخذ يشرح لنا التغييرات العنيفة التي حدثت في مجال البحث العلمي في الطبيعة والإنسان ، لأن زحف **سيطرة علماء الطبيعة على ميادين البحث في الغرب بمناهجهم التجريبية** ظل يسير قدمًا ليضم إلى حوزته علومًا تلو أخرى ، ولكن رايات النصر التي كان العلماء يرفعونها في كل خطوة يخطونها إلى الأمام سرعان ما نكست عند معرفة الحقيقة الفاجعة وهي أن **الإنسان لا يخضع للتجربة المعملية كغيره من الكائنات .**

يقول الدكتور **جوزيف :**

(وفي الحقيقة فإن العملية التي ردّ بها الإنسان إلى تفاهته الحالية إنما أنجزت بسرور بالغ ، وكان الناس يهللون لكل بارقة تشير إلى أن « الروح » فانية ، كما يهللون لاختراع آلة جديدة . لقد أعلن هكسلي – وكأنه يلقي بالبشرى – أنه سيكون في وسعنا في المستقبل أن نحصل على أفضل المعلومات عن طبيعة تكويننا

(١) المرجع السابق صـ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٢) المرجع السابق صـ١٧٥ ، ١٧٦ .



بالدراسة في حديقة الحيوان)[1] .

ويشرح بعد ذلك كيف كان هناك شعورٌ بالراحة من تزايد الاكتشافات في الطبيعة التي تؤدي لتزايد السيطرة عليها ، وأخذ الناس يستقبلون كل دليل على عدم خلودهم كأنه نصر جديد !!

ويأخذنا العجب من هذه الفورة الحماسية التي تهبط بالإنسان إلى درك الحيوان .

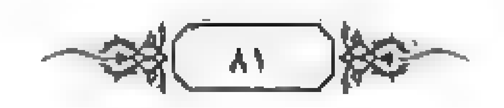
ولكن مع الأسف هذا ما حدث كما يسجله البحث الذي بين أيدينا كتابه ، حيث يوضح بعد ذلك حركة رد الفعل النفسي إذ تحول الإحساس بالنصر والراحة إلى إحساس باليأس ، ثم يسجل هذه الحقيقة المثيرة للدهشة حقًا ، وخلاصتها أن (اسس اليأس أرسيت في العصر الحديث على أيدي أناس كانوا موقنين بأنهم يخدمون الإنسانية ووسط هتافات النصر صبت سلاسل القيود التي تشدنا إلى الأرض بأوثق مما نريد)[2] .

إذن فإن الاتجاه المادي فقد نغمة النصر التي امتاز بها في مراحله الأولى ، وتوقف عن التغلغل في اجتياح مناطق كان يدعي من قبل أنه في إمكانه السيطرة عليها (حتى إن دعاة مذهب فرويد – وهو أقوى المحاولات التي أجريت في الآونة الأخيرة لتجريد الإنسان مما بقى له من مزق الكرامة وأبعدها أثرًا – أخذوا ينادون بنظرياتهم مع شيء من الاعتذار) .

---

(١) ج . وودكرتش : الإنسان الحديث – دراسة في مزاجه وقضاياه صـ ٢١٩ ترجمة بكر عباس طـ دار الكاتب العربي ١٩٦٥ م .

(٢) المرجع السابق صـ٢١٩ .



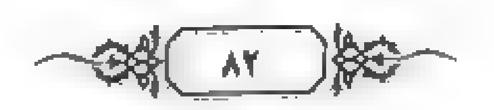
ويميل بهذا الرأي إلى تصوير الحالة المتردية التي وصل إليها الإنسان بسبب تصوير فرويد للإنسان وكأن لا هم له إلا إشباع غرائزه الجنسية وإرجاع كل ألوان سلوكه إلى هذه الغريزة فأصبح الإنسان في تفسير الفرويديين أحط شأنًا من الحيوان لأنه أنكر القيم ثم يجمل تاريخ محاولة العودة بالإنسان إلى طبيعته ، وإعادة (روحه) إليه في مراحله التاريخية التي شهدت مفترق الطرق ، فإذا كان القرن التاسع عشر قد شهد في نهايته مفكرين يبذلون قصارى جهدهم لحصر الإنسان ضمن طبيعة تسيرها الآلة ، فإن الربع الأول من القرن العشرين شهد مفكرين آخرين يسعون جاهدين للعثور على طريقة علمية أو ميتافيزيقية يستطيعون بواسطتها الهرب من تلك الطبيعة ويقصد بذلك اثنين من فلاسفة الغرب هما وليم جيمس وبرجسون إذ يقول : (ولعل وليم جيمس و« إرادة الإيمان » وهنري برجسون و« حدسه » كانا البادئين بالتطورات التالية لأن كليهما جعل همه أن يثبت على الأقل احتمال وجود منفذ تستطيع الروح أن تفر منه)[1] .

ولكن الشكوى المستمرة من الفلاسفة والمفكرين تجعلنا نشك في نجاح هذين الفيلسوفين .

ألا يصح بعد ذلك أن تضيق نطاق العلم فيصبح كما يطلق عليه جارودي (علمًا غربيًا) لأنه قد فارق (المغزى) وافترق عن الحكمة ، بينما كان العلم بهذا المدلول الجامع متحققًا في ظل الحضارة الإسلامية !!

أما عن النظام الاقتصادي الذي يقبع على قمته شعار (التقدم) ، فإنه أيضًا لا يخلو من نقد مرير من واقع النظرة الإنسانية التي ترتفع بالإنسان من مجرد

(١) المرجع السابق صـ ٢٢١ .



مستهلك يسعى بطريقة محمومة نحو الاستزادة من السلع ، إلى الإنسان الذي يرتفع بالقيم إلى المستوى اللائق به .

يصف جارودي هذا التنافس المحموم بقوله :

(لكن المعركة الأساسية الحيوية في عصرنا يجب أن توجه إلى أسطورة (التقدم) الانتحارية وإلى الطريقة الغربية في التنمية ، إنها الأيديولوجية التي تميزها تلك القطيعة بين العلوم والتقنيات من طرف ، وبين تحكيم العقل من طرف آخر ، وعلاج ذلك بتنظيم العلاقة بين الوسائل والقدرات وبالتفكير في أهداف حياتنا ومعناها) [1] .

ويضيف توينبي إلى ذلك كله :

إن صفة التعصب الذي بدأ مقترنًا بالمسيحية الغربية وكان سبب الحروب الدينية بين الكاثوليكيين والبروتستانتيين ، ثم انتقل إلى مجال الأيديولوجيات الغربية اللاحقة للمسيحية وهي القومية أولًا ثم الشيوعية ، قد أصبحت الآن أكبر خطر يهدد بناء الجنس البشري ، وينتهي إلى القول بأنها ستصبح كارثة على البشرية جمعاء أن تقتبس البلاد غير الغربية هذه الأيديولوجيات الغربية بحذافيرها [2] .

فهل يعاب على حركة اليقظة الإسلامية أنها تختط لنفسها طريقها المستقل المتصل بثقافتها وتراثها وكفى ما أصاب الأمة من كوارث تبعية الغرب أو الشرق ؟!

---

(١) ما يعد به الإسلام صـ ٤٠ .

(٢) محاضرات توينبي صـ ٤٤ ، ٤٦ باختصار .

ونحن الآن نلاحظ التقارب بين الدولتين المتعاليتين على حساب شعوبنا وأمتنا ، كما لا يخفى علينا أن التعصب الديني أصبح يحرك ساستهم نحونا .



ويقرر أرنولد توينبي أنه من سوء حظ الجنس البشري كله ، وضمنه الغرب ذاته ، أن يتجه الجزء غير الغربي من العالم إلى قبول المدنية الغربية بكل عناصرها دون تمييز ، ودون تفرقة بين ما هو نافع وما هو ضار منها لأن هذه المدنية شأنها أية مدنية أخرى فيها أوجه نافعة وأوجه ضارة [1] .

ولهذا فإنه يبدي دهشته لأن البلاد التي نجحت في تحرير نفسها من سيطرة الغرب السياسية ، لم تستخدم هذه الحرية الجديدة التي اكتسبتها في النضال ضد المدنية بوجه عام وفي الرجوع إلى أسلوبها التقليدي في الحياة – وهو الأسلوب الذي كان سائدًا في حياتها قبل أن يسيطر عليها الغرب – بل أخذت تقتبس عناصر من المدنية الغربية وأسلوب حياتها [2] .

فهل نتأمل هذا التعليل الصحيح ونفسر على ضوئه الرغبة العارمة في استرداد شخصيتنا الإسلامية الأصيلة بعد محاولة الغرب سلخنا منها وإلباسنا ثوبها في العقائد والقيم والسلوك والنظم ؟

(١) محاضرات توينبي صـ ٣٧ .

(٢) محاضرات أرنولدتوينبي صـ ٣٦ (ألقاها أثناء زيارته لمصر في أبريل سنة ١٩٦٤ م) ترجمة د. فؤاد زكريا الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٥ / ١ / ١٩٦٦ م .



أسلوب الحياة الغربية ومزاياه :

أولاً : حب الاستطلاع لاسيما في مجال موضوعي محايد وهو مجال البحث العلمي الذي هو أصل التكنولوجيا .

لذلك فإن البلاد العربية ينبغي ألا تتردد في اقتباس التكنولوجيا الغربية اقتباسًا كاملًا طالما إنها ستستخدمها استخدامًا مفيدًا – لأنها في ذاتها قوة محايدة من وجهة النظر الأخلاقية .

ولكنه يأسف لأن هذه التكنولوجيا تحولت إلى وسيلة للتدمير حيث نجحت في إنتاج القنبلة الذرية واستخدامها مما يدل على افتقار الشعور بالمسئولية من وجهة النظر الاجتماعية والأخلاقية حيث ارتكب الغرب خطأ شديد الخطورة أدى إلى تهديد مستقبل الجنس البشري كله بالخطر [1] .

ومات الرجل قبل أن تستفحل خطورة الأسلحة الفتاكة المعاصرة كالقنبلة الهيدروجينية وحرب الكواكب وحرب الميكروبات والصورايخ العابرة القارات – وغيرها وغيرها مما نسمع به ونقرأ عنه كل يوم .

ولهذا فإن توينبي يشترط على الدول غير العربية أن تخضع الطريقة التي تستخدم بها الكشوف العلمية والتكنولوجيا للسيطرة الاجتماعية والأخلاقية [2] .

وما أحوجنا إلى تنفيذ هذا الشرط .

ثانيًا : النزعة الفردية الغربية (أو المنافسة) :

ويلحق هذه الميزة بقوة العلم والتكنولوجيا من حيث أنها قوة محايدة من الوجهة الأخلاقية ، فمن الممكن استخدام قدرات الفرد لخدمة المجتمع أو للإضرار بالأفراد الآخرين ، وإن كان يرى أن النزعة الفردية قد ذهبت في

---

(١) محاضرات توينبي ٣٩/ ٤٠ .

(٢) محاضرات توينبي ص ٣٩ / ٤١ باختصار .



الغرب إلى أبعد مما ينبغي وزعزعت فكرة الالتزام برعاية المسنين ووصلت إلى حد عدم الاكتراث بهم – أي الحد اللا أخلاقي المتطرف – [1].

ولذلك ظهرت الفجوات بين الأجيال بافتقاد الرباط الأسري واستفحال ظاهرة عقوق الوالدين والمسنين بوجه عام

ثالثًا : النزعة العملية التي تتضح في النشاط والعمل وإنجاز الأمور بسرعة وكفاءة بدلًا من الجمود والتلكؤ والتسويف .

ويلحق هذه النزعة بسابقيتها من حيث حيادها في حد ذاتها ومرغوب فيها أخلاقيًا ، ولكنها تتحول إلى نشاط ضار إلى الحد الذي يصرف الناس في الغرب أوقاتهم في أمور عملية تافهة لا جدوى منها على حساب ممارسة أوجه النشاط الروحي كالصلاة والتأمل لأنهما ليسا بأقل أهمية من النشاط العملي من حيث هما عنصر ضروري لا غناء عنه في حياة الإنسان ، إذ أن أي شخص ، لكي يكون آدميًا بالمعنى الكامل ينبغي أن يكون تأمليًا وعمليًا في آن واحد لاستكمال مكونات الشخصية الإنسانية [2] .

وهل أتى الإسلام بغير هذا ؟

واقرؤا ما شئتم الآيات القرآنية – وما أكثرها التي تجمع بين ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ .

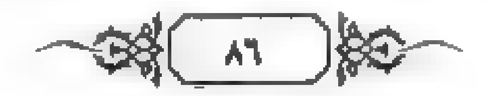
وكانت الحضارة الإسلامية في أوج مراحل ازدهارها تعبيرًا عن هذا الالتحام ، وما ضعفت وتحللت إلا بالانحراف عن هذا الفهم والتنفيذ الصحيحين الذي التزم به أهل القرون الأولى المفضّلة [3] .

---

(١) محاضرات توينبي صـ ٤٣ ، وربما يقصد أيضًا بالنزعة الفردية إطلاق حرية الأفراد في التملك والعمل ، بدلًا من اعتبارهم آلات مسخّرة للدولة في النظم الاشتراكية حيث أدى إلى ضعف الإنتاج كما هو مجرّب .

(٢) محاضرات توينبي صـ ٤٣ / ٤٤ باختصار .

(٣) يُنظر كتابنا (مع المسلمين الأوائل في نظرتهم للحياة والقيم) ط دار الدعوة بالاسكندرية ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .





من مقومات المحافظة على ذاتية الأمة

(أ) الشريعة للمحافظة على ذاتية الأمة .

(ب) العقيدة والنظم .

(جـ) الإسلام دين (علمي موثق) .

(د) استمرارية الأمة .

(أ) الشريعة للمحافظة على ذاتية الأمة :

لم يبق من الأجيال التي عاصرت الخلافة العثمانية إلا القليل النادر ، وفيما عداها تحتاج إلى قراءة ودراسة واعية لكي تعرف أن مجتمعاتها كانت محكومة بالشريعة الإسلامية بواسطة المحاكم الشرعية ، وأن التحول من حكم الشريعة إلى القوانين الوضعية قد فُرض عليها قسرًا بواسطة قوى الاستعمار وأذنابه عندما كانت مقاليد الأمور بأيديهم ، فكانت كالطارئ والغريب الوافد مع جيش الغرب العسكري حيث كسرت شوكة الجيش الوطني ، ثم تحوّلت إلى تراث الأمة التشريعي لتزيحه من طريقها وتنشّء أجيالًا أخرى على تراث الغرب وقوانينيه ، وسلكت في ذلك عدة مسالك ضمن خطط متكاملة لتغريب الأمة أهمها :

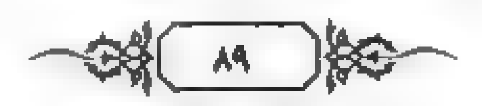
١ – فرض الوطنية وتجزئة أراضي المسلمين على حساب وحدة الأمة الإسلامية .

٢ – القوانين الوضعية بدلًا من الشريعة الإسلامية .

٣ – نظام التعليم وفق المناهج والأساليب الغربية ودست فيه فلسفة اليونان والفلسفة الحديثة بكليات الآداب والمعاهد المشابهة كما قررت في كليات الحقوق دراسة القوانين الوضعية .

وقد تصدى علماء المسلمين من شيوخ الأزهر للوقوف في وجه المستعمرين وأتباعهم .

وأثيرت معركة دار فيها النقاش بين علماء الإسلام في دفاعهم عن الشريعة والسائرين في ركاب الغرب الثقافي .



وبعد انحسار موجة الاستعمار العسكري فإن التصرف المنطقي المعقول أن نوصل ما انقطع ونسترجع نظامنا التشريعي الذي حكمنا طوال تاريخنا عندما كنا أحرار الإرادة ، وما أصدق الشيخ أحمد محمد شاكر ﷺ في قوله بإحدى محاضراته : (وكما عرفنا بعد الحرب الماضية كيف نسترد استقلالنا السياسي أو أكثره ، فسنعرف الآن كيف نسترد استقلالنا التشريعي ، والعقلي كله ، وسنعيد للإسلام مجده ، إن شاء الله) [1].

وذكّر الحاضرين في كلمته أن مصر كلها فرحت حين تمكن مندوبوها في مؤتمرات أوروبا منذ بضع سنين أن يقنعوا المؤتمرين ليصدوا قرارًا بأن (الشريعة الإسلامية تصلح أن تكون مصدرًا من مصادر القوانين) [2].

وربما تصلح تصرفات الإنجليز بمصر كنموذج طبقته الدول الاستعمارية الأخرى كفرنسا وإيطاليا وغيرهما في باقي بلاد المسلمين .

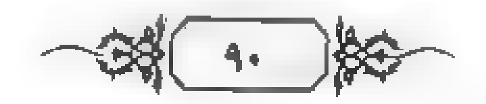
إن ما حدث في مصر يعد نموذجًا عظيم الدلالة على ما فعله الاستعماريون لتخريب الشخصية المسلمة من الداخل وتفكيك الأمة الإسلامية وتفتيت وحدتها ، ثم توجيه الطعنة القاتلة إليها بإبعادها قسرًا عن شرع الله تعالى وإخضاعها لقوانينهم .

ويذكر الأستاذ طارق البشري أن الإنجليز شرعوا منذ سنة ١٨٩٩ م في

---

(١) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر صـ ٢٨ ، ط دار الكتب السلفية بالقاهرة سنة ١٩٨٦ م .

(٢) المرجع السابق صـ ١٢ واستطرد قائلًا : (وظنت أنها أوتيت فتحًا مبينًا !) نعم هو فتح مبين هناك ، ولكنه في بلادنا ضعف وهوان ، لأن شريعتنا يجب أن تكون وحدها هي مصدر القوانين في البلاد الإسلامية .



النفاذ إلى المحاكم الشرعية بما صاغوه من مشروعات يرمون بها إلى إلغاء هذه المحاكم بزعم الإصلاح !

وقد قوبلوا بمعارضة شديدة من علماء الأزهر وقاضي القضاة وشيخ الجامع الأزهر حينذاك ، وكان أعوان الاستعمار يصفونهم بالجمود .

وإذا تجاوزنا تفاصيل المراحل التي اجتازتها المعارك بين هذا الجانب وذاك ، فإن ما يهم هو الدلالة حيث يقول الأستاذ طارق البشري (والدلالة التي تهم من هذه الواقعة في الموضوع المعروض : أن دعوة الإصلاح هنا التبست ببسط النفوذ الإنجليزي ، وأن حركة مقاومة هذا النفوذ اتصلت بنزعة الحفاظ على المؤسسات التقليدية . وكان غالب الرأي العام المصري – فيما يبدو مؤيدًا هذا الموقف الثاني والدلالة أيضًا أن هذا الموقف « الشرعي » كان يحمل موقفًا سياسيًا في طياته . وأن تقويم المواقف لا يجوز أن يقتصر على القول بأن فكرًا جامدًا حال دون إصلاح ما ، إنما كان الأمر مرجعه إلى موقف سياسي ظاهر الدلالة بيّن التصور سواء المشروع الإنجليزي أو المقاومة الوطنية له) [1] .

وكذلك إذا صُوِّرت القضية بأنها نزاع بين طرفين : علماء الشريعة ورجال القانون ، فهي تجانب الحقيقة لاسيما إذا خاض البعض بالباطل وحاول إيهام الناس بأن علماء الشريعة أو الفقهاء يسعون لتولي مقاليد الحكم والتفرد بالسلطة ، ويخلطون بين مكانة فقهاء الإسلام وبين (علماء الدين) حسب النظام الكنسي في الغرب ، وشتان ما بينهما كما هو معلوم .

---

(١) الأستاذ طارق البشري : حركة التجديد في التشريع الإسلامي صـ١٠٧ مقالة بمجلة (الحوار) العدد ١ – ربيع ١٩٨٦م / ١٤٠٦هـ (النمسا) .



وهذه القضية المثارة الآن كإحدى قضايا الساعة قد أثيرت من قبل عقب انقضاء الحرب العالمية الثانية ، ربما بنفس الشكل بين الغالبية الساحقة التي تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية ، وبين القلة المتغربة التي تلقى بسهامها الطائشة وتتذرع بنفس الحجج الواهية التي قتلها علماء الشريعة بحثًا وأجابوا عليها إجابات مستفيضة .

يقول الشيخ أحمد شاكر مجليًا هذه النقطة : (كّلا ، فإن الأمر أخطر من ذلك ، ومقصدنا أسمى من أن نجعله تنازعًا بين طائفتين ، أو تناحرًا بين فريقين ، إنما نريد رفع ما ضُرب على المسلمين من ذل ، وما لقيت شريعتهم من إهانة بوضع هذه القوانين الأجنبية . إنما ندعوكم بدعوة الله ، ندعو الأمة أن تعود إلى حظيرة الإسلام ، ندعو إلى وحدة القضاء ، وإلى التشريع بما حكم الله ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

[النور : ٥١]

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب ٣٦].

ضعوا القوانين على الأساس الإسلامي ، الكتاب والسنّة ، ثم افعلوا ما شئتم ، فليحكم بها فلان أو فلان ، لسنا نريد إلا وجه الله) [1] .

(ب) العقيدة والنظم :

إن الركائز التي تستند إليها العقيدة والنظم في هذا المجال ثابتة وأصيلة ،

---

(١) الكتاب والسنة . صـ٢٩ / ٣٠ وهذا النص مقتبس من محاضرته الملقاة بتاريخ ٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٠هـ الموافق ٣ أبريل سنة ١٩٤١ م .



فضلًا عن أنها تميزنا كأمة، وتقدم لنا البدائل في المجالات العقدية الثقافية والأخلاقية السلوكية والعلاقات الاجتماعية بحيث تجعل من حضارتنا حضارة متميزة بخصائص لا تشاركنا فيها أية حضارة أخرى ولعل أدق وأشمل ما قيل عنها هو ما ذكره ابن القيم في نص طويل يضعنا على الطريق الصحيح في تقويم عقائدنا ونظمنا وسلوكياتنا بميزان الإسلام :

قال ابن القيم : (إن الله سبحانه أغنانا بما شرعه لنا من الحنيفية السمحة وما يسره من الدين على لسان رسوله ﷺ وسهله للأمة من الدخول في الآصار، كما أغنانا عن كل باطل ومحرم وضار بما هو أنفع لنا من الحق والمباح النافع) .

ويمضي مستطردًا موضحًا طريقة الحياة وفق منهج الإسلام الذي يشبع الاحتياجات الإنسانية وينظم نشاط الإنسان في الميادين المختلفة مع تحديد القيم المعنوية الأخلاقية بحيث يتقيد المسلمون بهذا المنهج في اجتيازهم لطريق الدنيا وفقًا لشرع الله تعالى وقواعده القائمة على دعائم الحق والمباح النافع ويميزه عن كل ما عداه .

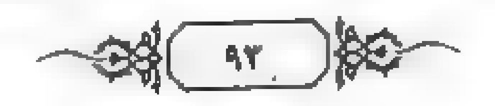
ونحن نقتبس النص بكامله هاهنا ونحن نتحدث عن معالم ذاتية الأمة لأنه يحسم قضايانا المثارة على الساحة الآن بين حركات اليقظة الإسلامية ومعارضيها .

يقول ابن القيم : فأغنانا بأعياد الإسلام عن أعياد الكفار والمشركين .

وأغنانا بوجوه التجاريات والمكاسب الحلال عن الربا والميسر والقمار .

وأغنانا بزواج ما طاب لنا من النساء مثنى وثلاث ورباع والتسري عن الزنا والفواحش .

وأغنانا بأنواع الأشربة اللذيذة النافعة للقلب والبدن عن الأشربة الخبيثة



المسكرة الملهبة للعقل والدين .

وأغنانا بأنواع الملابس الفاخرة من الكتّان والقطن والصوف عن الملابس المحرمة من الحرير والذهب .

وأغنانا عن سماع المعازف وقرآن الشيطان بسماع الآيات وكلام الرحمن .

وأغنانا عن الاستقسام بالأزلام طلبًا لما هو خير وأنفع لنا استخارته التي هي توحيد وتفويض واستعانة وتوكل .

وأغنانا عن طلب التنافس في الدنيا وعاجلها بما أحبه لنا وندبنا إليه من التنافس في الآخرة وما أعد لنا فيها وأباح الحسد في ذلك وأغنانا به عن الحسد على الدنيا وشهواتها .

وأغنانا بالفرح بفضله ورحمته وهما القرآن والإيمان عن الفرح بما يجمعه أهل الدنيا من المتاع والعقار والأثمان ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] .

وأغنانا بالتكبر على أعداء الله تعاليًا وإظهار الفخر والخيلاء لهم على التكبر على أولياء الله تعالى والفخر والخيلاء عليهم ، فقال ﷺ لمن يتبختر بين الصفين :

« إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » .

وأغنانا بالفروسية الإيمانية والشجاعة الإسلامية لنصرة دينه عن الفروسية الشيطانية وحمى الجاهلية .

وأغنانا بالخلوة الشرعية حال الاعتكاف عن الخلوة البدعية التي يترك لها الحج والجهاد والجمعة والجماعة .



كما أغنانا بالبراهين والآيات التي أرشد إليها القرآن عن الطرق المتكلفة المتعسفة المعقدة الكلامية .

قال المبعوث بالحنيفية السمحاء (ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ، ولا تركت من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به وتركتكم على البيضاء . ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك) [1] .

(جـ) الإسلام دين (علمي موثق) :

ومن المقومات الذاتية المميزة للإسلام أنه دين علمي موثق بكل المعايير المعترف بها ، وإلا فكيف نعلل إسلام بعض أفذاذ فلاسفة الغرب وعلمائه في وقت انحسار حضارة المسلمين ؟

ما الذي جذب هؤلاء إلى الإسلام ودفعهم إلى دراسته والترحيب بعقيدته عن اقتناع ويقين ؟

الجواب بلا شك يكمن في الدعائم التي يقوم عليها الإسلام ، فهو يعتمد على الحجج والبراهين العقلية ، فهو دين (علمي) إن صح التعبير حيث يقدم الأدلة الموثقة تاريخيًا على صحة مصادره ، ويخاطب البشرية في العصور كلها باللغة الملائمة لها ، قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [2] [فصلت : ٥٣] .

---

(١) ٦٤/ ٦٦ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ ٢ ط الحلبي ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

(٢) على سبيل المثال يُنظر كتاب موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ترجمة الشيخ حسن خالد - المكتب الإسلامي ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

ويقول الأستاذ وحيد الدين خان :

(في القرن التاسع عشر ظهرت ثورتان كانتا على درجة كبيرة من الأهمية من وجهة النظر الإسلامية : الأولى =

كذلك نرى في إسلام امثال هؤلاء الجهابذة ما ينبهنا إلى الكنوز التي بين أيدينا ويحفزنا إلى العناية بها والعمل على ضوئها ودعوة البشرية إليها ، أي القيام بالدور القيادي مرة أخرى كما قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١١٠] .

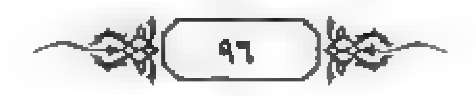
وإننا معشر الأمة الإسلامية مهما حدث لنا سواء بأيدينا أو أيدي أعدائنا – على أثر الاستعماريين الظاهر والباطن – مازلنا في المكانة الأفضل بالمعنى الحضاري الذي نعنيه : حضارة القيم الإنسانية والمثل العليا والفضائل الأخلاقية ، قد لا تكون عامة كما كانت في أجيال مضت ، ولكنها موجودة على أية حال ، ومازال الحرص على عبادة الله تعالى بالصلاة والزكاة والصيام والحج كائنًا ، وأعداد المقبلين على التدين يزداد .

ومازالت غالبية سكان العالم الإسلامي محافظة على الإيمان بالله تعالى ، ومازال التقيد بأعمال البر والتحلي بالفضائل ملاحظًا مشهودًا في قطاعات اجتماعية لها وزنها في الريف والأحياء الشعبية بالمدن .

كذلك فإن الأسرة المسلمة مازالت في أغلب بلاد الإسلام متماسكة تحافظ على بر الوالدين وصلة الأرحام . ومازال شبابنا بالمقارنة بشباب أوروبا وأمريكا

تمثلت في تصحيح الاستشراق الذي استمر سبعمائة سنة ، وكأنه كان اعترافًا ضمنيًا من أهل الغرب بصدق الإسلام ، والثانية ظهور في النقد الأعلى Higher criticism وكان بمثابة اعتراف بالقرآن دون كتب الملل الأخرى ككتاب ثابت تاريخيًا ، وهكذا وضع القرن التاسع عشر أرضية علمية على مستوى رائع للدعوة الإسلامية بطريقة مدهشة حقًا) .

من كتاب (واقعنا ومستقبلنا في ضوء الإسلام) صـ ٢٥٦ / ٢٥٧ ترجمة د/ سمير عبد الحميد إبراهيم . ط دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م



بخير وبخاصة الشباب المتدين .

وهناك مؤشرات لا تخطئها عين الباحثين : مثل الإقبال الهائل على المصارف والشركات الإسلامية ، وزيادة عدد المعتمرين والحجاج عامًا بعد عام .

وما على القادة والساسة والعلماء إلا تحريك إيمان الأمة وتوظيفه واستثماره – إن صح التعبير – والإفادة من إشعاعه على مستوى العمل والإنتاج وإيقاظ الهمم والتنافس على التقدم التكنولوجي في العصر الحديث .

وإن تاريخنا المعاصر ليشهد بتجارب مشابهة في ميادين القتال خاصة في حرب رمضان (أكتوبر) في سيناء ، وانتصار المجاهدين الأفغان ، وثورة المساجد في أرض فلسطين المغتصبة .

وقد لا نجد بين أيدينا الإحصائيات اللازمة للاستقراء ، ولكن هناك مؤشرات لها مدلولاتها ، التي لا تخفى على عين أي باحث أو مراقب :

منها الحنين الجارف إلى الدين والعودة إلى واحته الوارفة الظلال ، وهي ظاهرة عامة في أنحاء العالم الإسلامي كله بل امتدت إلى القارتين : أوروبا وأمريكا ، وليست منحصرة في الشباب وحدهم ، بل شملت فئات كثيرة ، وتشملها طبقات اجتماعية مختلفة ، ودخل في دائرتها شخصيات مختلفة العقائد والثقافات والمهن ، ونلمح أيضًا تحولات – ممن بدأوا حياتهم من موقع ثقافي غربي – لدى بعض الشخصيات البارزة إلى اقتناع نهائي بسمو الإسلام على سائر الثقافات والأنظمة .

ونحن في حاجة إلى مراكز بحوث علمية إسلامية ترصد هذه الظواهر إذا أردنا التهيؤ لحياة المستقبل كما تفعل دول الغرب بمؤسساتها ومراكز بحوثها المنتشرة في العالم وهي لا تكل من مراقبة العالم الإسلامي بعيون الخبراء والعلماء

المؤهلين للرصد والتحليل والدراسة ووضع الخطط للتعامل الاقتصادي والسياسي [1].

(د) استمرارية الأمة :

إذا لجأنا إلى التاريخ فإننا نهدف فقط إلى إثبات استمرارية الأمة حية بالرغم من السهام التي صوبت إليها والأزمات التي حلت بها .

ويزداد يقيننا بهذه الحقيقة إذا تدبرنا كتاب الله تعالى ونظرنا في بعض آياته ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور : ٥٥] .

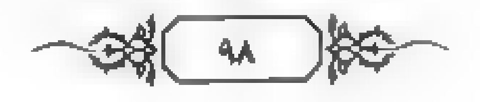
وقال ﷻ : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

وقال سبحانه : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

وعندما فهم المسلمون هذه الآيات وعملوا بها وارتفعوا إلى مستواها ليصبحوا أهلًا للنصر ، أخذ الله تعالى بأيديهم إلى النصر بالرغم من قلة عددهم وعدتهم وتفوق أعدائهم عليهم جيوشًا وأسلحة ، وهاكم (هرقل) ملك الروم يبدي دهشته ويتعجب من ذلك فيسأل من حوله هذا السؤال الباحث عن السر ،

---

(١) على سبيل المثال يُنظر كتاب (الأصولية في العالم العربي) تأليف ريتشارد هرير دكمجيان ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد ، ط دار الوفاء ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م



قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن ، قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنّا نشرب الخمر ونزني ونرتكب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهي عما يرضي الله ونفسد في الأرض فقال : (أنت صدقتني) [1].

وإذا التزمنا بنفس صدق مستشار هرقل عند تحليل أوضاعنا الراهنة على ضوء المستوى الذي بلغه أهل تلك القرون ، لأصبح معقولًا ومنطقيًا أن نلح على طلب الارتقاء للوصول إلى مراتبهم ودرجاتهم العالية بالسير على مناهجهم مع معرفتنا بصعوبتها على النفوس المترفة اللاهية .

ولكننا مع الأسف نُفجع – خلافًا للمعقول – بالعبارة الساخرة التي يرفعها أصحاب هذه النفوس في وجوهنا قائلين : (أنتم تريدون الرجوع بنا إلى الوراء) !!

وهي مغالطة سافرة ، وتحمل في طياتها أيضًا التعبير عن إرادة عاجزة عن القيام بتلك الأعباء الثقال !

وندعو القارئ ليتدبر على مهل رأي مستشار هرقل مرة أخرى ، وحينئذ سيستخلص سنة من سنن الله تعالى في النصر والهزيمة ، وأصبح واجبنا الأخذ بهذه السنّة والإلتزام بها .

وأما الآية التي وعد الله تعالى بها نصرة دينه وظهوره على الدين كله بقوله :

---

(١) ابن كثير « البداية والنهاية » نقلًا عن (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) للعلامة أبي الحسن الندوي .



﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٩] ، هذه الآية لا تتعارض مع ما قبلها من حيث الأخذ بالأسباب ، إذ لو فهمها الرسول ﷺ أنها ماضية تلقائيًا بغير جهد إنساني متواصل لما قرأنا في سيرته أنه دعى إلى الله تعالى بالكلمة والحجة وجاهد في سبيله ﷻ بالنفس والمال والسلاح ، ولكنه فعل ذلك كله ﷺ .

ألا تحثنا الآية على الوقوف عند مغزاها ومدلولاتها ، وتجعلنا نستضيء بأعماله لنوقن بأن الظهور لا يأتي إلا إذا أخذنا بأسبابه وتحركنا بدواعيه ؟ **هذا هو الدرس الأول .**

أما الدرس الثاني فلكي نتأكد من بقاء الأمة واستمراريتها على مدى القرون ، وذلك بخلاف الرأي المخالف الذي يصور انتهاء الأمة ونظامها بانتهاء الخلافة الراشدة فيتجاهل بذلك تاريخًا حيًا واقعيًا مازالت آثاره ماثلة أمامنا ، إذ أن الأمة لم تنته ولم تفقد ذاتيها بانتهاء الخلافة الراشدة ، كذلك لم يقتصر نظامها السياسي فقط على هذه الفترة المثالية ، صحيح إنه فقد مثاليته ولكنه ظل باقيًا .

يقول الإمام المودودي ﷺ : (بيد أنه من الخطأ الشديد أن نظن أن هذه التغييرات السياسية قد قضت على نظام الحياة الإسلامي كله قضاء تامًا ، إذ أن بعض الناس طالعوا التاريخ مطالعة سطحية ثم قرروا ببساطة أن الإسلام لم يعش غير ثلاثين عامًا انتهى بعدها تمامًا ، مع أن الأمر يختلف عما قرره كل الاختلاف) ولم يفطن هؤلاء إلى أن كل ما حدث ما هو إلا انقسام في القيادة فقط إلى قسمين القيادة السياسية والقيادة الدينية ويقرر المودودي ﷺ أنه لم يتأثر من المسلمين بهذه التفرقة المذهبية غير ثمانية أو عشرة في المائة على الأكثر ، أما بقيتهم

الباقية فكانت على مذهب الجمهور [1] .

وهذا أيضًا ما يقرره الدكتور حسين مؤنس ، فبعد بيان أن الأنظمة الخاصة للأئمة قامت على أكتاف القضاة والفقهاء فنجت الأمة من مساءات الحكام ومظالمهم ، وظلت الحضارة الإسلامية كثمرة لجهود الأمة نشطة معظم الوقت تقريبًا ، وحتى في أحوال الركود ، فإن الأمة كانت تغذي مؤسساتها الحضارية كالقضاء والتعليم والفقه والحسبة وغيرها مما لم يصل بحالة الركود إلى درجة الجمود التام [2] .

ونعتقد أننا بذلك نكون قد وجهنا أنظار خصوم التراث السياسي الإسلامي إلى مصادر أخرى لإعادة النظر فيما ورثوه من أفكار (جاهزة) إما بسبب قراءات مجزأة أو استمداد مصادرهم من المستشرقين وتلاميذهم .

ونرشح من البحوث والدراسات العميقة المبتكرة دراسة الدكتور حامد ربيع التي تجعلنا في موضع الفخر بتراثنا السياسي لأنه قلب الموازين وخلص إلى حقائق مذهلة تفاجيء كل من اعتاد ترديد الأحكام الجاهزة عن طريق التلقين بالطعن في النظام السياسي الإسلامي بل إنكاره !

ويستخلص الدكتور حامد ربيع من بحوثه المتشعبة في هذا الميدان أن المفهوم الإسلامي للممارسة الديمقراطية كفلسفة للحياة وللتعامل ظل ثابتًا ونبعت منه أربعة متغيرات :

المتغير الأول : احتقار الحياة وازدراء المظاهر المادية للوجود الإنساني مستندًا

(1) المودودي / الخلافة والملك صـ ١٣٥ ، ١٤٨ تعريب أحمد إدريس طـ دار القلم ـ الكويت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

(2) د. حسين مؤنس / الحضارة صـ ١٧٤ الكويت .



إلى كتاب « خالد » إلى ملوك الفرس حيث قال : (ادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم . وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب ، على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا) .

المتغير الثاني : خضوع الإنسان للقدرة الإلهية ظل ثابتًا خلال جميع مراحل التاريخ الإسلامي فلم نعرف أي خليفة شكك في هذه الحقيقة أو خرج عليها علانية وبصراحة .

المتغير الثالث : تقديس الإلتزام الاجتماعي .

المتغير الرابع : استعداد الفرد للمخاطرة بحياته في سبيل حماية الكرامة الفردية ، وهناك أمثلة كثيرة لعل أبرزها محنة ابن حنبل وابن تيمية وهما يعبران عن تماسك التقاليد الإسلامية من جانب القيادة الممارسة بالرغم من مرحلة التحلل حينذاك [1] .

أما عمّا يثار من الاختلاف بين المسلمين ، فإن من أفضل صور التنازع أو الخلاف ما أورده ابن قتيبة على لسان المأمون :

(قال المأمون لمرتد إلى النصرانية :

خَبِّرنا عن الشيء الذي أوحَشَك من ديننا بعد أُنسِك به واستيحاشِك مما كنتَ عليه ، فإن وجدتَ عندنا دواءَ دائِك تعالجتَ به ، وإن أخطأ بك الشِّفَاءُ ونَبا عن دائك الدَّواءُ كنت قد اعذرتَ ولم ترْجع على نفسك بلائمة وإن قتلناك قتلناك بحُكم الشريعة وترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثِّقةِ وتعلم أنك لم تُقصِّر في

(1) سلوك المالك في تدبير الممالك جـ ١ صـ ١٤٧ / ١٤٨ باختصار ط دار الشعب ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .



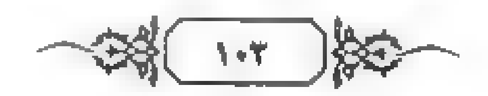
اجتهاد ولم تُفَرط في الدخول من باب الحزم قال المرتدُّ :

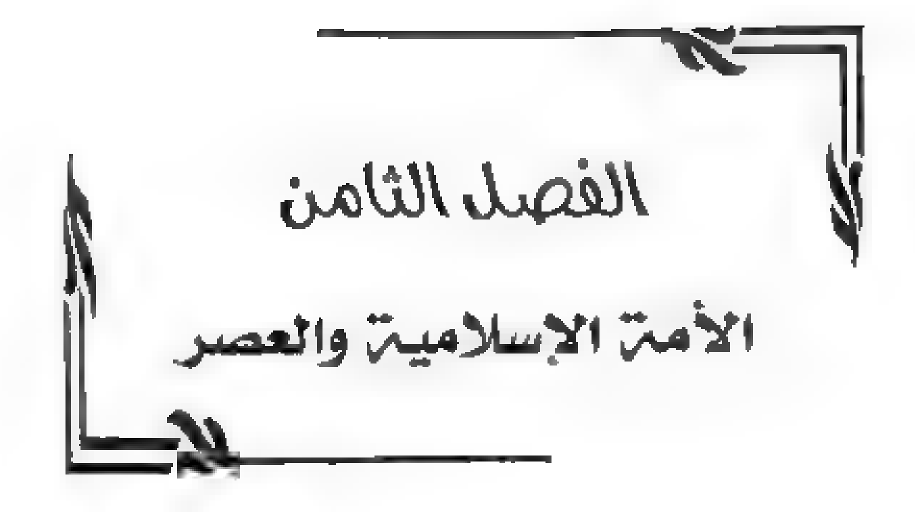
أوحشني ما رأيتُ من كثرة الاختلافِ فيكم .

قال المأمون : - لنا اختلافان : أحدهما كالاختلاف في الأذان والتكبير في الجنائز والتشهُّد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ووُجوه القراءات ووجوه الفُتْيا وهذا ليس باختلاف ، إنما هو تخيرٌ وسعةٌ وتخفيفٌ من المِحْنة فمن أذنَّ مثنى وقام مثنى لم يخطيء من أذَّن مثنى وأقام فُرادى ولا يتعايرُون بذلك ولا يتعايبون والاختلافُ الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا وتأويل الحديث مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقِنا على عَيْنِ الخبر فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكَرْتَ هذا الكتَاب فقد ينبغي أن يكونَ اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل مُتفَقًا على تأويله كما يكون متفقًا على تنزيله ، ولا يكون بين جميع اليهود والنصارى اختلافٌ في شيء من التأويلات وينبغي لك ألا ترْجع إلا إلى لغةٍ لا اختلاف في تأويل ألفاظها ، ولو شاء الله أن يُنْزل كُتُبَهُ ويَجْعَلَ كلامَ أنبيائِهِ وورثة رُسله لا يحتاج إلى تفسير لَفَعل ، ولكنَّا لم نَرَ شيئًا من الدين والدنيا دُفع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لسقَطَت البَلْوى والمحنة ، وذهبت السابقةُ والمنافسة ولم يكن تفاضلٌ ، وليس على هذا بَنَي الله الدنيا .

قال المرتد : أشهدُ أن لا إلَه إلا الله وأنَّ المسيّح عبدٌ ، وأن محمدًا صادقٌ ، وأنك أميرُ المؤمنين حقًّا »[1] .

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار المجلد الثاني صـ ١٥٤ (٢١٣/ ٢٧٦ هـ) طبعة دار الكتب .





الفصل الثامن

الأمة الإسلامية والعصر

الأمة الإسلامية والعصر

نظم العصر وقيمه :

العصر لفظ دال على أواخر القرن العشرين [1] الذي نعيش فيه ، ولا يُقصد به مدلول (الزمن) .

فإذا تحدثنا عن عصرنا فنعني بذلك طبيعة الحياة الإنسانية والنظم السائدة التي تحكمها .

فما هي طبيعة الحياة في عصرنا الحاضر ؟

لكي تتبين لنا الإجابة على هذا السؤال ، لابد من التعرض بإيجاز للأنظمة السائدة والتي تحكم أهل العصر الحاضر بفلسفاتها وخططها وأهدافها .

ولاشك أن أهم تيارين هما التيار الماركسي أو الاشتراكي أو الشيوعي في روسيا وأوروبا الشرقية والتيار الديمقراطي الرأسمالي في أوروبا الغربية وأمريكا .

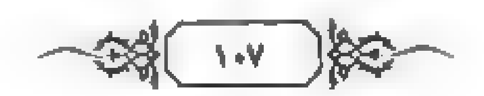
ولكن الدارس المتعمق لكلا التيارين يقف على الجامع المشترك بينهما أي (المادية) ، (فإن كانت اليسارية المتمركزة حول الماركسية تبنت المادية كشعار أيديولوجي فكرًا وأسلوبًا فالليبرالية الرأسمالية تعيشها حياتيًا فعلًا وممارسة ، دون ما حاجة لشعار أو غطاء أيديولوجي يبرر سلوكها واحتكارها) [2] .

أما هدف كلا الجانبين فهو السيطرة على دول العالم الثالث ، ومنها دول

---

(١) طغى أيضًا هذا التعبير وكاد ينسينا التقويم الهجري ، وهو أيضًا من آثار الغزو الثقافي .

(٢) نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع من خلال القرن الرابع عشر الهجري صـ ٧٤ د/ رشدي فكار مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٨٠ م ١٤٠١ هـ .



العالم الإسلامي ، كل ذلك يتم وراء كلمات وشعارات براقة معلنة ، أمثال :

- مفهوم (الحرية) .

- مفهوم (التطور) .

- مفهوم (الأمن والسلام) .

بينما التطبيق على أرض الواقع والتعامل مع الشعوب مغايرة . ولا تخدعنا الشعارات البراقة المتغيرة حسب الظروف والأحوال ، وكلها تحمل دلالات جذابة كالضياء التي تجذب الفراش ويكون فيها مقتله .

مثلًا يعلنون (أنهم أنصار الشعوب الصغيرة في التنمية والرخاء والتطور والحرية والاستقلال) بينما معاملاتهم تهدف إلى النقيض من هذه المدركات .

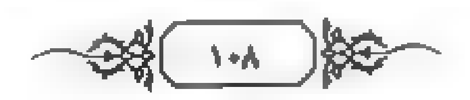
ويعلنون (الحرية) وهي في قاموسهم تعني تخلي الشعوب عن إرادتها ورضاءها بما يفرضون عليها من توجيهات .

أما مفهوم (التطور) وهو أشدها جاذبية ، فيعني (أن تتجرد الشعوب في جميع مساراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية عن كل تاريخها وتراثها الحضاري وأصالتها العقيدية والقومية والوطنية)[1] .

التحديث على النمط العصري وتقويمه :

ترددت ألفاظ متشابهة المضمون ، كالتحديث والتقدم والعصرية ، ويقصد بها مجاراة العصر وصياغة حياتنا وفق مفاهيمه وأساليبه ، وعندئذ لابد أن يُجابه العصريون بسؤال ضروري يحتاج إلى إجابة وهو : هل معنى هذا أن نلقي وراء

(١) مجتمعات المعاصرة والطريق إلى الإسلام صـ١٠٣ نور عالم خليل الأميني – ط دار الصحوة بمصر سنة ١٩٨٨م



ظهورنا بتراثنا وقيمنا ؟

وإذا كانت الإجابة بالنفي قطعًا إذا أردنا المحافظة على ذاتية الأمة والإبقاء على هويتها ، فإننا نرى أيضًا أن إثارة الشك حول إمكان الجمع بين الأصالة والعصرية معًا يحمل بين طياته دلالة التشكيك في مقدرة الأمة على الاستمرار في أداء رسالتها ، وإلا ، فكيف عاشت طوال القرون الماضية وكانت حضارتها مكتسحة ومتفوقة فاستوعبت ثقافات أمم أخرى ، بل قاومت ألوانًا من الغزو الاستعماري ربما كان أشد وأعتى مما تعانيه الأمة في السنين الأخيرة !

ومن الملاحظات الجديرة بالتنويه أنه لم يظهر في تاريخنا قط هذا التوقف للبحث والتساؤل لأن علماءنا قاموا بصد الطارئ والدخيل على عقائدنا وعباداتنا وقيمنا ونظمنا محذِّرين منذرين .

ربما يعتبرهم البعض أنهم (كانوا محافظين أكثر من اللازم) – ولكننا نجد لهم بعض العذر الآن بعد انزلاق الأمة في تيار التقليد ، فقد حذَّروا وأنذروا بدافع من حرصهم الشديد على ضرورة المحافظة على الأصالة والوعي بالذات ، وكانت نظرتهم أكثر صوابًا من أصحاب نظرية (التحديث على النمط الغربي) فالسبيل إلى الرقي هو الأخذ بالحضارة الأوروبية خيرها وشرها ، حلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب !

وبصرف النظر عن مضمون الفكرة عند التنفيذ لأنها تؤدي إلى (الفناء في خصائص أخرى) فإن ذلك يستحيل تحقيقه ، لأن (لكل حضارة روحًا خاصة بها تظهر في وجوه المدنية العديدة ، وهذه الروح يمكن أن تضعف ، ولكنها لا يمكن أن تموت) [1] .

---

(١) تفسير التاريخ صـ٢٩ عبد الحميد صديقي ، ترجمة د/ كاظم الجوادي ط دار القلم بالكويت (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) .

وكانت حضارتنا (نائمة) بتعبير توينبي فيلسوف التاريخ حينذاك، ولكن النائم لابد أن يستيقظ والمخلصون من أبناء الأمة يفضلون إيقاظها والعمل على انعاشها لتدب الحركة في جسدها وتنشط من جديد بدلًا من (إفنائها) في حضارة أخرى، أو تحولها إلى تابع ذليل، كالعبد الذي يرضي سيده بتقديم التضحيات تلو الأخرى، ولكن السيد يأبى إلا المزيد.

هذه الصورة التقريبية سجّلها الشيخ مصطفى صبري في معرض حديثه عن علاقة الشرق بالغرب، فقال (ولكن أين ذلك من الغرب الذي يعْمَه في طغيانه ويريد أن يخرج الشرق المسلم من دينه ويعاديه لدينه وقرآنه؟ وهذا في حين أن المسلم الغافل يتنازل عن شطر دينه ومعجزات نبيه ﷺ تزلفًا إليه، وهيهات لا يرضيه إلا التنازل عن الشطر الباقي أيضًا) [1].

ولم يكن الشيخ رحمه الله ملهمًا بقدر ما كان واعيًا بحقيقة المعركة بين الأصالة وما يسمى بالتحديث – وهو في حقيقته التغريب أو التفرنج) حيث وقف وحده واثقًا بدينه ومعتزًا بإيمانه إزاء من أطلق عليهم أسماء (الكتاب العصريون) أو (المستغربون) أو (الطائفة العصرية).

---

(١) القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون صـ ٨٨ ط دار السلام – القاهرة – حلب بيروت سنة ١٩٨٦ م.

وكان الشيخ أحمد شاكر رحمه الله من علماء الذين عرضوا موجة التأويل ليتفق الإسلام مع العصر فوصف المتأولين لآيات القرآن بقوله: (فمن متأول لآياته غير مؤمن به، يريد أن يفسرها على غير ما يدل عليه صريح اللفظ في كلام العرب، حتى يوافق ما آمن به، أو ما أشربته نفسه، من عقائد أوربة ووثنيتها وإلحادها – أو يقربه إلى عاداتهم وآدابهم – إن كانت لهم آداب – ليجعل الإسلام دينًا عصريًا في نظره ونظر سادته الذين يتبع أهواءهم، أو يُزلفى في أحضانهم) صـ ٥ من كتاب (كلمة الحق) طـ دار الكتب السلفية بالقاهرة ١٤٠٧هـ



والآن ، بعد انقضاء السنوات الطوال على بداية المعركة ، بدأت تظهر بعض الحقائق التي كانت تدور وراء الكواليس الإستشراقية والسياسية الأوربية .

ولندع برنارد لويس يتكلم مفصحًا عن بعض ما كنا نجهله ، ولكنه يطابق توقعات الشيخ مصطفى صبري بحذافيرها :

يجيب برنارد لويس على السؤال (ما هي نتيجة عملية التغريب) ؟ فيقول :

وهذا سؤال يجدر بنا نحن الغربيين أن نوجهه لأنفسنا ، لقد كانت عادتنا التي تعودناها في العالم الغربي هي : كلما اتجه الشرقيون إلينا كلما ازداد تمسكنا بالغرب لنجعل أنفسنا مثالًا للفضيلة والتقدم فإذا تشبهوا بنا عددنا ذلك أمرًا حسنًا ، وإذا لم يكونوا كذلك عددنا ذلك سوءًا أو شرًا .

فالتقدم هو في التشبه بنا ، أما إذا لم يقتدوا بنا فذلك هو التقهقر والاضمحلال !! إلا أن الأمر ليس كذلك بالضرورة ، فعندما تصطدم مدنيتان تسيطر إحداهما وتتحطم الأخرى .

قد ينبري المثاليون والمفكرون فيتحدثون بطلاقة وسهولة عن تزاوج بين أحسن العناصر من المدنيتين ، إلا أن النتيجة العادية في هذا التلاقي هي تعايش بين أسوأ العناصر من الاثنين) [1] .

---

(١) العرب والشرق الأوسط صـ ٥٦ – ٥٧ تعريب د/ نبيل صبحي (كتاب المختار) بالقاهرة
ويرى جارودي أن مفهوم (التحديث) غلب عليه مفهوم الاقتداء بالغرب ، ويرى أن إقحام الاحتياجات الغربية في حياة المسلم قادته لأن يصبح غريبًا عن نفسه ودينه وتاريخه وثقافته ومستقبله . إن ما اقترح على العالم العربي الإسلامي ليتخذ طابع الحداثة هو أن يمر بالمراحل ذاتها التي اجتازتها أوروبا منذ أربعة قرون . وأن يعتبر ماضي الآخرين على أنه مستقبل له ! صـ ١٨٣ من كتاب (الإسلام دين المستقبل) ترجمة عبد المجيد =



والحق أننا لا نواجه (كارثة) من نوع جديد ، بل سبق أن واجهنا من الكوارث ما هو أشد قوة وخطرًا ، ولنتذكر حروب الفرس والروم [1] في بداية عصر الإسلام كما واجهنا الاكتساح التتاري وأنقذنا منه أنفسنا والعالم معنا ، وأنهينا الحروب الصليبية لصالحنا بعد كروفردام نحو قرنين من الزمان .

نعود إلى الملاحظة الجديرة بالتنويه : أنه لم يظهر في تاريخنا قط هذا التوقف وهذا التساؤل : هل نمضي قدمًا متابعةً واستمرارًا لحركة تاريخنا الفيّاض بالمواقع تلو المواقع التي تحقق فيها النصر لأننا تشبثنا بعقيدتنا وتراثنا الحضاري الإسلامي أو نتوقف حائرين باحثين عن أيهما نفضل : الاستمساك بالتراث أم مجاراة العصر ؟!

طبيعة تراثنا ومميزاته :

إذا أُطلق لفظ (التراث) على الإسلام فإنما بغرض بث بذور التشكيك في قيمه ومدى قدرته على الإرتقاء بالأمة من جديد بعد عصور الاستعمار والقهر والتبعية !

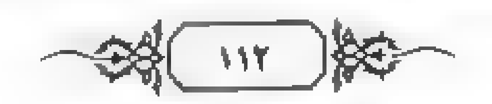
ويدور أصحاب هذا الاتجاه على المطالبة (بفرز) التراث لإبقاء ما يصلح منه للعصر واستبعاد غيره .

فإلى أي مدى يمكن تطبيق هذا الرأي الغريب ؟

هل يقصد به القرآن والسنّة ، أم العبادات وأهمها الصلاة ، أم نظمه

باورودي ط دار الإيمان بيروت – دمشق سنة ١٩٨٣ م .

(١) يقول ابن خلدون : (وكيف كان استيلاؤهم – أي المسلمين – على فارس والروم لثلاث أو أربع من وفاة النبي ﷺ واعلم أن ذلك إنما كان معجزة من معجزات نبيا سرها استماتة المسلمين في جهاد عدوهم استبصارًا بالإيمان وما أوقع الله في قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل) ص ٣٠١ المقدمة ط التجارية بمصر .



التشريعية الراقية، أم قيمه الأخلاقية الثابتة ؟

ولابد منذ البداية – حتى لا تختلط المدركات والمفاهيم – أن نحدد التعريف الموجز للإسلام كدين ومنهج حياة، أو دين وحضارة، وليس مجرد تراث كغيره من تراث البشر القابل للفرز والتنقية، وبهذا التحديد ليس الإسلام (دينًا خالصًا وإنما هو نظام اجتماعي كامل، وأنه ليس مجموعًا من الطقوس والعبادات يتقرب بها الإنسان لربه ﷻ وإنما هو مجموع من القواعد والأنظمة التي يستطيع الناس أن يعيشوا بمقتضاها، ومن هنا كان الإسلام حضارة كاملة ونظامًا جامعًا، استطاع أن يمد بلاد الشرق بكل مقومات الدول وأساليب السياسة والحياة والتشريع والحضارة مدى بضعة قرون)[1] .

فما المقصود إذن عن البحث في (التراث) ؟ أو وضعه مقابل (العصرية) ؟ إن تراثنا يختلف عن تراث أية أمة أخرى لأنه ميراث النبوة ويتسم بالحيوية والخلود لأن مصدره الوحي الأهي، لا قرائح البشر، وإن كان لعلمائنا – علماء الحديث والأصول والفقه – دور، فهو فقط المحافظة عليه نقيًا خالصًا حتى لا تختلط به (البدع) التي من صنع البشر، أو تفسيره وشرحه لعامة المسلمين .

والتراث بهذا التحديد لا يقتصر على الماضي التاريخي ولكنه باق إلى قيام الساعة[2] ،

---

(١) الشرق الأوسط في العصر الحديث، د/ حسين مؤنس صـ ٩ ط المكتبة التجارية بمصر سنة ١٩٣٨ م، ويقول في كتابه (الإسلام حضارة) : وحيث أن الإسلام في ذاته حضارة لا قاعدة حضارية كما يقولون – فهو دين الجماعة ودين الأمة .. والأمة هي التي تطبق الدين وتحفظه وترعاه وهي التي تنشره بين الناس) صـ ١١١ . ط الدار السعودية – جدة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

(٢) يفسر الأصفهاني الحديث (إنَّا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة) بأن ما تركه الأنبياء هو العلم وهو صدقة تشترك فيها الأمة، وما روى عنه عليه الصلاة والسلام من قوله « العلماء ورثة الأنبياء » فإشارة =

ولا يحتاج إلى (إعادة نظر) أو (فرز وتدقيق) لأن علماءنا قد استكملوا الفحص بأدق المناهج العلمية المعترف بها، لاسيما علوم مصطلح الحديث، وأصول الفقه، وبما وضعوه من شروط للتفسير والاجتهاد والإفتاء، مع بقاء الوحي الإلهي بالكتاب والسنّة لم تمسه يد بشر بتحريف أو تصبغه بالصبغة البشرية.

حاجتنا وحاجة العصر إلى قيم الإسلام وشرعه :

إذا استعرضنا أغلب البحوث التي تلقى وتناقش عادة في ندوات (الأصالة والمعاصرة)، أو على صفحات الجرائد والمجلات [1]، رأيناها تهتم بمناقشة موضوعات عدة: من أبرزها بحث الصلة بين (التراث والعصرية)، والمقارنة بين الحضارتين: الإسلامية والعربية، والإجابة على السؤال المطروح بالشكل الآتي (ماذا نأخذ وماذا ندع من الحضارة المعاصرة؟).

إلى ما ورثوه من العلم (المفردات في غريب القرآن) صـ٥١٩ تحقيق محمد سيد كيلاني ط الحلبي ١٣٨١هـ - ١٩٦١م

(١) نرى ضرورة التنويه بأننا نقصد بحديثنا على هذه الصفحات ما أثير من حملات تشكيك وبلبلة للأفكار حول حركة اليقظة الإسلامية، وغرضنا تمحيصها ومناقشتها والرد على أهم ما دار فيها.

أما الندوات الهادفة إلى التمحيص والتقويم فلا شك أنها موضع تقديرنا وإشادتنا، ونخص بالذكر تلك الندوة الكبرى التي عقدت بالبحرين (١٤٠٥هـ ١٩٨٥م) لمناقشة (اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر) وتحدد هدفها بأنه البحث في الأعماق (عن الطريق الجديد الذي يمكن أن نستبصر معالمه من خلال مسيرتنا الحضارية عبر هذه الحركات التي انتظمت العالم الإسلامي، فالمستقبل هو الهدف، وليس مجرد الوقوف - إيجابًا وسلبًا - على أطلال الماضي القريب أو البعيد، بل لابد أن يتعانق هذا الماضي مع الحاضر ويدفعه إلى الأمام صوب أهدافه المستقبلية المحددة، مستفيدًا من التجارب الحية) من مقدمة الندوة بقلم د/ محمد الأحمد الرشيد صـ٩/ ١٠ (ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي)، البحرين ٣-٦/ ٦/ ١٤٠٥هـ ٢٢ - ٢٥/ ٢/ ١٩٨٥م.

مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.



وهكذا تتشابك الموضوعات وتتداعى الإيحاءات ، فيُلحق بها أشباهها ونظائرها كالبحث في التراث : ما هو وما طبيعته ؟ وهل يُقصد به التقاليد والعادات والأعراف ، ومن ثمَّ فقد أدت دورها ولا حاجة للعمل بها في عصرنا ؟ أو ما الذي نستبقيه صالحًا للعصر ؟

ومما يلفت نظر المتابع لآراء ناقدي حركة اليقظة الإسلامية أن خلفياتهم الثقافية ورواسب أفكارهم (الجاهزة) المستقاة من الفكر الفلسفي خاصة ، أدّت إلى حجب الرؤية السليمة لعقائد الإسلام وآفاقه . ويصعب على هؤلاء فعلًا إصدار أحكام صائبة على الإسلام لأنهم مقيدون بأفكار ، ومتشبعون بنظريات يتعذر عليهم التحرر منها وقبول أفكار ونظريات مغايرة ، اللهم إلا إذا انطلقوا بعيدًا عنها وأعادوا البحث والتمحيص للتراث العلمي الهائل الذي تركه علماء المسلمين المخطوط منها والمنشور (مع العلم بأن المخطوطات التي تركها لنا علماؤنا وتقدر بنحو نصف مليون مخطوطة لم ينشر منها أكثر من الخمس) ![1] .

ونحن ندعو إلى دراسة الذخائر والنفائس التي تركها لنا علماؤنا في مجالات العلوم الإنسانية خاصة كالنفس والتربية والاجتماع والسياسة والاقتصاد ، وأهميتها مستمدة من ثلاثة عناصر :

١ – أنها بمثابة الحصون التي تصون عقائدنا وعباداتنا وشرائعنا وقيمنا الأخلاقية وتعبر عن الاستقلال والذاتية لثقافة الأمة وأنظمتها .

٢ – أنها تتفوق على ثقافة العصر وفلسفاته .

---

(١) سلوك المالك في تدبير الممالك حـ١ صـ١١٣ د/ حامد ربيع .



٣ – أننا بإحياء هذا التراث والعمل به نصبح مؤهّلين للتأثير في العصر – لا التأثر به – أي التقدم للأخذ بيد الإنسانية لأن الإسلام دين الإنسانية ولا يقتصر على شعب أو قوم .

ولا وجه للعجب في هذا لأن أزمة العصر تحتاج إلى حل من خارج ثقافته وخبرته وتاريخه ونظمه .

وتحت عنوان (ما الذي يجب أن نتعلمه من الإسلام في الوقت الحاضر) ؟ ، يذكر جارودي بعض الدروس ، نذكر منها :

أ – إقصاء الأصنام الحديثة في مجتمعات الغرب كصنم النمو والتطور والتقنية والفردية والقومية وقوة السلاح والجيش وكل منها يحمل محرماته ورموزه المقدسة وطقوسه (ويؤكد الإسلام رفضه لهذه الأصنام بقوله : لا إله إلا الله والله أكبر)[1] .

ب – تعديل موقفنا في التعامل مع الطبيعة ، فبدلًا من الروح العدائية التي دأبنا عليها منذ عصر النهضة ، علينا أن نتعلم من الإسلام كيف حمّل الإنسان مسئولية الحفاظ على توازن العالم – لا تدميره – (فبدلًا من استهلاك احتياطيات الطاقة الجوفية بشكل عشوائي ، دون أن نحسب حسابًا للأجيال اللاحقة ، ولا للأهداف الإنسانية الشاملة ، يعلمنا هذا التفكير أن نعود إلى نبع الطاقة الذي لا ينضب ، المتمثل بالمياه والبحار والشمس والأرض والرياح)[2] .

(١) الإسلام دين المستقبل صـ١٨٩ .

(٢) المرجع السابق صـ١٩٠ .



ويستشهد جارودي بالآيتين : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

[الأحزاب : ٧٢]

كما يشير أيضًا إلى تولي الإنسان منصب (خليفة الله على الأرض) وربما يقصد قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ .

[البقرة : ٣٠]

ولكن لابد من الاحتياط في تفسير آية الخلافة والتقيد بالشروط التي وضعها العلماء ، إذ ليست الخلافة منوطة بالإنسان على إطلاقه ، بل محددة – كما فسرها الطبري بآدم – عليه السلام (ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه ، وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه ، ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله) [١] .

وهناك أيضًا عالم غربي آخر – هو أرنولد توينبي – يشفق على حضارته من خطرين داهمين : أحدهما نفسي وهو التمييز العنصري ، والثاني مادي وهو شرب الخمر ، ويرى أنه إذا سمح للفكر الإسلامي أن يؤدي دوره ، فسيبرهن عن قيم اجتماعية وأخلاقية سامية .

(فعدم وجود التمييز العنصري بين المسلمين هو أحد أبرز الانجازات الأخلاقية للإسلام ، والعالم المعاصر في وضعه الراهن بحاجة ماسة لنشر هذه الفضيلة الإسلامية) [٢] .

---

(١) الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن . جـ ١ صـ ٤٥٢ تحقيق محمود شاكر ومراجعة أحمد محمد شاكر . ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ م .

(٢) الإسلام والغرب والمستقبل ، صـ ٦٢ ترجمة د/ نبيل صبحي ط دار العربية – بيروت ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م .



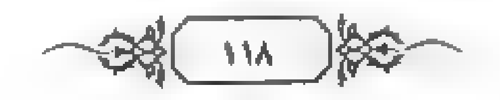
وفي مجال التشريعات وإصدار القوانين ، يظهر سمو الشريعة الإسلامية بمقارنتها بالقوانين الوضعية ، فإذا كانت المجتمعات الإنسانية تأخذ في صياغة القوانين كلما دعت الحاجة ، ثم الاضطرار لإجراء التعديلات والتنقيحات على أثر التطبيقات وظهور الثغرات ، واستفحال الأخطاء ، فإن الشريعة في الإسلام تتميز بالكمال والإحاطة بكل ما تحتاج إليه المجتمعات في معاملاتها ، وقد أكد الإمام الشافعي هذه الحقيقة ، وخلاصتها (أن نصوص الشريعة وافية بحكم كل ما يقع من الحوادث ويجد من الوقائع ، فليست هناك واقعة تجدّ إلا وفيها نص من كتاب أو سنة يستدل به على حكم الله فيها ، غير أن هذا الحكم قد يؤخذ من لفظ النص ، أو من معقوله بطريق القياس . يقول الشافعي (فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها) [(١)] .

وتفسير ذلك بشكل مجمل أن خط ارتقاء إصدار القوانين والتشريعات بواسطة علماء القانون وفقهائه يتجه – بعد التجارب تلو التجارب وضياع السنين والأجيال – إلى مرتبة الشريعة الإسلامية التي استقرت عليه في مكانتها السامية منذ نحو أربعة عشر قرنا .

وإذا كان لابد من كلمة نوجهها للمتشككين في إمكانية الشريعة الإسلامية بالوفاء بحاجات العصر ، فإننا نسوق لهم رأي أحد أساتذة القانون المدني المقارن بجامعة باريس الذي أثبت (إمكان الاستعاضة عن القوانين المدنية في أوروبا وأمريكا بالقانون الفرنسي ، وعن القوانين المدنية الاشتراكية بقانون ستالين الصادر

---

(١) نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي صـ ٣١٢ للدكتور حسين حامد حسن ، مكتبة المتنبي بالقاهرة سنة ١٩٨١م . ونص الإمام الشافعي من كتابه (الرسالة) .



في روسيا سنة ١٩٣٧ م – ولم يفته وهو يهودي فرنسي أن يقول : إن هذين المتناقضين : قانون ستالين (الذي احتوى جميع القوانين الاشتراكية) ، وقانون نابليون (الذي احتوى جميع قوانين أوربا وأمريكا) لا يمكن لقانون على ظهر الأرض أن يقارب بينهما ، ويمكنه أن يحل محلهما سوى القواعد العامة والكليات الأساسية بالشرع الإسلامي) [١] .

صلة التقدم التكنولوجي بالارتقاء الحضاري :

أما وصف العصر بأنه عصر التقدم التكنولوجي والوصول إلى القمر واستخدام الكمبيوتر ، فلا صلة بما نحن بصدده ولا يدخل في صميم قضيتنا ، فإن المسلم المعاصر يستخدم العصر وآلاته ، ولا أظن أن هناك خلافًا في وجوب ذلك وضرورته ، بل إن دراسة العلوم التجريبية من فروض الكفاية ، ونحن نلاحظ أن الغرب يضنّ علينا بأسرارها بينما يصدّر إلينا آدابه وفنونه الهابطة !

وإذا عبّرنا عن العصر بلغة مفسري التاريخ والحضارات ، فإن التقدم التكنولوجي وحده لا يعبّر عن ارتقاء حضاري .

يقول (جود) : (انظر إلى الطائرة التي يدوي صوتها وهي تخترق السماء الصافية في الصيف ، لقد تضافرت في صنعها معرفة الإنسان بالرياضيات وعلم الحركة والآليات ، ومعرفته بالكهرباء والاحتراق الداخلي وعبقريته في تطبيق المعرفة ، ومهارته في صنع الخشب والمعادن .. إلخ ، أما الآن فانظر إلى الغرض الذي من أجله استخدمت الطائرة الحديثة والذي يبدو أنها ستظل تستخدم من أجله بازدياد ، إنه إلقاء القنابل التي تدمّر وتخنق وتحرق وتسمم وتقطّع أوصال أناس عُزل) [٢] .

---

(١) الإسلام ومشكلات العصر صـ ٩ للدكتور مصطفى الرافعي دار الكتاب اللبناني - بيروت سنة ١٩٨١ م

(٢) نقلًا عن تفسير التاريخ ، عبد الحميد صديقي صـ ١٢٠



وهكذا تصبح التكنولوجيا - بغير رادع ديني أو أخلاقي - نقمة أكثر منها نعمة ، كذلك ربما لم يسبق أن أصاب الإنسان الغرور مثلما أصابه في العصر الحديث نتيجة عوامل كثيرة ، لعل أبرزها الاكتشافات العلمية المتصاعدة منذ اكتشاف البخار والتسيير الذاتي للآلة إلى تحطيم الذرة وغزو الفضاء . وأصيب الإنسان هناك بأعلى درجات الغرور ، وظن أنه قادر على وضع الأنظمة والتشريعات وقواعد الأخلاق بنفسه لتحقيق الرخاء والسعادة ، وتجرأ متطاولًا على خالقه ﷻ ، فظن فريق أنه بإمكانه الحياة منفصلًا عن خالقه تعالى بلا عبادة ولا نظام تشريعي وأخلاقي ، وذهب فريق آخر إلى الإلحاد والكفر .

ومن هنا ظهرت مأساة الإنسان في الغرب بسبب الفصل القاطع بين عالم الروح وعالم المادة ، وكأنه - أي الإنسان - هو والعالم حوله مجرد مادة بلا روح أو نفس لها أشواقها وتطلعاتها ، بينما العامل النفسي والوجداني في الإنسان في حاجة إلى إشباع من لون خاص ، وهو يختلف نوعًا وكمًا عن مجرد الإشباع المادي !

لقد فقد الإنسان هناك (الشعور بالهدف الذاتي) [1] ، وأصبحت هذه الحضارة المتقدمة (تنتج عوامل انحطاطية أكثر خلال الملل وفقدان الهدف) [2] .

وأصبح العصر في رأي كولن ولسن (عصر اللا معنى) ، ففقدان المعنى والهدف يجثم على أدبنا وفننا وفلسفتنا ، هذا الشعور العام بأن التأكيدات التي يمنحها الدين قد ضاعت ولا يمكننا استبدالها ، فتحليل العلم للمشكلات

A guide to modern Wickedness ,Joad P .P.٢٦٢ -٢٦٣ .

(١) ما بعد اللا منتمى (فلسفة المستقبل) ، كولن ولسون صـ ٢٠٢ ترجمة يوسف شرور وعمر يمق دار الآداب - بيروت سنة ١٩٨١ م .

(٢) المرجع السابق صـ ١٧٤ .



العلمية يزيد في اتساع هوة الفراغ المؤلم ، ومن خلال هذا تبدو الثقافة الغربية تعاني الانهيار والانتكاس لما لا يقل عن مائة سنة ، إذ أن الأمر ليس إلا مسألة تفكير في معرفة المدة التي تستمر فيها قبل أن يلتهمها الإفلاس الماحق) [1] .



(١) المرجع السابق صـ١٥ .



ثقافة العصر الفلسفية :

الفلسفة هي العمود الفقري للحضارة الغربية ، وهي ثمرة ثقافتها المتولدة منذ فلاسفة اليونان وعلى امتداد الأجيال ، تعبر عن تصوراتها ونظرتها للحياة وللإنسان وللعالم من حولها .

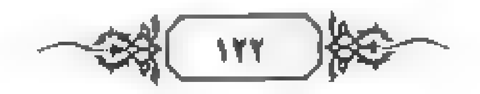
ولم تلق الفلسفة اليونانية في تاريخنا الثقافي الإسلامي – المعارضة لأنها تعتمد على (العقل) ، كلا ، لقد عارضها علماء السنّة لأنها تعبر عن فكر وثني يتعارض مع الوحي الإلهي ، وهو المصدر الأوحد والأوثق لمعرفة حقائق عالم الغيب الذي يعجز الفلاسفة عن الوصول إليه لافتقادهم لوسائل إدراكه لأن مبلّغيه هم الرسل والأنبياء وحدهم ، واصطحبوا معهم الأدلة على صدقهم في شكل (آيات خارقة) أو (معجزات) إلى أن جاء خاتمهم ﷺ بالمعجزة الباقية : القرآن الحكيم !

ويضيق المقام عن الإسهاب في تناول الفلسفة ، غير الذي يعنينا هو إذا كان من محاسن الفلاسفة الذين يقرون بالميتافيزيقا (أي ما وراء الطبيعة) أنهم أقروا (بوجود الله سبحانه ، وحدوث العالم ، وحرية الإرادة وخلود القيم التي من أجلها عاش الإنسان وجاهد) [1] .

فإن هؤلاء يمكن دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الإقرار بالمبادئ العقلية والبراهين المنطقية ليتحول تصورهم للميتافيزيقا من تصورات ذهنية وخيالات مبهمة إلى معرفة عالم موجود حقيقي بدقائقه ونظمه الفائقة في عظمتها

---

(١) مع الفيلسوف د/ محمد ثابت الفندي صـ ٢٧٢ ط دار النهضة العربية بيروت سنة ١٩٨٠ م .



وجلاها، المتضمنة لتفاصيل العالم الآخر (ونعني بذلك كله عالم الغيب وفق العقيدة الإسلامية).

ولكن ما الحيلة في الوضعيين المنطقيين الرافضين لكل ما هو غير مادي محسوس وخاضع للتجربة ؟!

ونخشى أن يصل بهم الأمر إلى إنكار وجودهم أنفسهم، أو هم كما وصفوا بحق أنهم أهل (اللافلسفة المعاصرة) [1] !

كذلك فإن لنا مواقفنا المستمدة من عقائدنا الجلية الواضحة فتغنينا عن أن نلهث وراء أمثال سارتر والوجوديين – كما يُراد لنا بحجة العصرية والتحديث - بغير وعي بذاتنا وثقافتنا، بل لمجرد معايشة العصر ومتابعته !

إن أي مسلم عارف بدينه يسخر سخرية لاذعة من أقوال سارتر وعباراته، ومنها مثلًا (كل موجود يولد من غير داع، ويمتد وجوده في ضعف، ويموت صدفة) !

أو (الموجود يوجد من غير داع، وبلا سبب، وبدون ضرورة) [2] !

فإذا ألقينا على عامة المسلمين – فضلًا عن خاصتهم – مثل هذه العبارات فإنهم بلا شك سينفرون منها، بل سيطوحون بها بعيدًا لأن ثقافتهم الإسلامية توضح الحكمة من الوجود وتضفي عليه معنى وتعرف له غاية ونضيف أن قضايا الفلسفة المعاصرة هي نفسها القضايا التي كانت مثارة في عصر الفيلسوف اليوناني

---

(١) المرجع السابق صـ ٢٥٩.

(٢) مع الفيلسوف صـ ١٢٩.



أفلاطون (٤٣٨ ق.م) وهذا ما يؤكده ديورانت في كتابه (قصة الفلسفة) حيث يشير إلى كتاب (الجمهورية) لأفلاطون ثم يطرح القضايا التي بحثها، وهي نفسها المطروحة بواسطة الفلاسفة المعاصرون (فهنا – في الجمهورية – سنجد ميتافيزياءه، ولاهوته، وأخلاقه الوضعية، وعلم نفسه وعلم تربيته، وسياسته، ونظريته في الفن. وهنا سنجد قضايا تفوح منها رائحة العصرية ولها مذاق معاصر، سنجد الشيوعية والاشتراكية، الحركة النسائية وتحديد النسل وتحسينه، وستطالعنا قضيتا نيتشه، الأخلاق والارستقراطية، وقضيتا روسو، العودة إلى الطبيعة، والتربية الانعتاقية، وقضية برغسون، الابتداع الحيوي، والتحليل النفسي لفرويد، كل شيء موجود هنا)[1].

أما أرسطو (٣٢٢ ق.م) الذي ظل طويلًا المعلم الأول ثم اختفى في الفلسفة الحديثة فقد عاد في فرنسا وانجلترا ليأخذ حظه من الدراسة، بسبب فلسفته في الوجود، أو نظرياته المنطقية.

صحيح أن ذلك يجري في نطاق الاتصال بالفلسفة القديمة لتجديدها (أو لتجديد الاتصال بها لفهمها في ضوء جديد) (٢)، إلا أنه يدل على التشبث بثقافاتهم، والحرص على الاتصال بمنابعها والفخر بالماضي التاريخي، ومع هذا لا يوصفون (بالرجعية)!

ويدل أيضًا أنه لا جديد تحت الشمس هناك، ولكن حركة دائرية في حلقة مفرغة فلا تتقدم إلى الأمام لحل معضلات الإنسان أو الإرتقاء به وتحقيق سعادته.

---

(١) قصة الفلسفة – ويل ديورانت صـ٧٣ ترجمة أحمد الشيباني – منشورات المكتبة الأهلية بيروت ١٩٦٥ م.

(٢) مع الفيلسوف صـ٤٥ – ٤٦.



لا مخرج إذن إلاّ بالاهتداء بالوحي المنزّل الذي خُصت أمتنا بتعاليمه الأخيرة الكفيلة بتحقيق الحياة الطيبة في الدنيا والسعادة في الآخرة .

النظر الفلسفي والدين :

ومن المآخذ على نظريات المثقفين المحدثين أنهم حصروا أنفسهم في دائرة المباحث الفلسفية وأنساقها سواء في أصلها اليوناني القديم أو الأوروبي الحديث ، كما اعتادوا – بسبب مناهج التعليم التي أسسها المستشرقون وتلاميذهم – اعتادوا النظر إلى الإسلام كدين بالعقلية التجريدية المحضة التي تفصل بين الدين والحياة ، أو الدين والأحكام العقلية ، والدين والنظريات العلمية ، ومن ثمّ أصبح مفهوم الدين عندهم مجرد لون من الثقافة كغيره من ألوان الثقافة الأخرى من العلوم والآداب والفنون ، والتدين مجرد علاقة تربط بين العبد وربه ، وعمادها القلب والعاطفة ولا دور للعقل وأحكامه فيه !

ولكن الإسلام – كما عرّفه البعض من غير المسلمين – يحتوي على حلٍّ شامل إذا حللنا عناصره ، سنعثر في النهاية على عقيدة وشريعة ونظم وأخلاق تجمع بين النظر والعمل في دائرة واسعة تضم الفرد والمجتمع والأمة . يقول د/ فيليب حتّي (الإسلام منهج حياة ، وهو – بهذا النظر – يتألف من ثلاثة جوانب أساسية : الجانب الديني والجانب السياسي والجانب الثقافي ، هذه الجوانب الثلاثة تتشابك وتتفاعل ، وربما انقلب بعضها إلى بعض مرة بعد مرة من غير أن نلحظ ذلك) [1] .

ويتضح من هذا التعريف صفة (الشمول) التي تكمن فيها فاعلية الإسلام وقوته المنيعة بالرغم مما تلقاه من ضربات – كما يرى الأستاذ العقاد حيث صابر

(١) الإسلام منهج حياة صـ٩ ترجمة د/ عمر فروخ . ط دار العلم للملايين سنة ١٩٨٣ م .

الكوارث والشدائد (زهاء تسعة قرون، ولم يزل بعدها « وحدة إنسانية » هائلة تتخذ مكانها بين هيئات الأمم – ولا تزال – على أمل وثيق في المزيد)[1] وربما يقصد تجوز الإسلام للحدود الضيقة للجنس واللغة والبيئة وارتفاعه إلى مستوى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وتتضح الميزة الثانية للإسلام بأنه (عقيدة شاملة) لأنها تشمل النفس الإنسانية بجملتها من عقل وروح وضمير[2].

ونعود إلى بيان الفجوة العميقة في فهم بعض المستغربين للإسلام إذ يتضح فهمهم له على نمط العقيدة النصرانية المؤدية إلى إقامة بعض العبادات والشعائر ثم ممارسة الحياة الفردية والاجتماعية كما يحلو.

وهنا مفترق الطرق بين الإسلام وغيره، وكان الفيلسوف جارودي على وعي بأخص ما ينفرد به الإسلام، لأنه (الاستسلام والخضوع لإرادة الله ﷻ وعلى هذا المفهوم فكل ما في الوجود هو خاضع ومستسلم لله، فالأشجار في نموها والحيوانات في توالدها والأحجار في ركودها مسلمة أي خاضعة لقوانين الله، لكن بدون إرادة منها. أما الإنسان فهو الوحيد الذي يملك الاختيار في أن يختار الإسلام أو يرفضه، فهو بذلك يتحمل المسؤولية الكاملة)[3].

فما هي مكانة الإنسان ومبدؤه ومصيره في العقيدة الإسلامية ؟

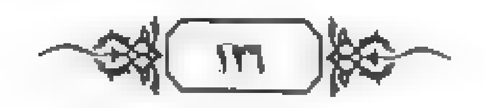
سنوجز الإجابة على هذا السؤال بعد إعطاء فكرة عن تفرد الثقافة الإسلامية

---

(١) الإسلام في القرن العشرين، حاضره ومستقبله صـ ٣٢.

(٢) المرجع السابق صـ ٢٩. منشورات المكتبة العصرية بيروت / صيدا ١٩٧٩ م

(٣) الإسلام دين المستقبل صـ ٣٣.



من حيث العقائد والمعارف، ومن حيث العبادات والسلوك، وهي مغايرة تمامًا لثقافة (العصر).

تفرد الثقافة الإسلامية:

إن المسلم متفرد بثقافته التي تضم عقيدته وتصوراته وقيمه ولها مصادرها ومنابعها، وهو يحرص على ألا تختلط بثقافات أخرى.

وقد عالجت كتب العقائد الإسلامية كل ما يدور حولها إجمالًا وتفصيلًا، وأسهبت في شرح مسائلها واستوعبت الإجابات على ما يدور في الذهن من تساؤلات واستفسارات عن عالمَيّ الغيب والشهدة بحيث لم تترك زيادة لمستزيد.

وإنّ استطلاع فهارس أحد هذه الكتب ليحمل المرء على الاقتناع بصحة ما نقره، إذ تتضمن التوحيد وصفات الله ﷻ وأسماءه الحسنى وأفعاله، والرسالة وإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ، والقرآن كلام الله ﷻ، والإيمان بالقدر وأفعال العباد ومسؤوليتهم عن أفعالهم، وبيان الكبائر ومرتكبيها والحكم عليهم، والإيمان وزيادته بالطاعة ونقصانه بالمعاصي، والملائكة والجن وصفاتهم وأفعالهم، وأشراط الساعة وأماراتها وأحداث يوم القيامة ووصف كل ما سيجري فيه، والجنة ونعيمها والنار وعذابها، إلى جانب بيان فضائل الصحابة وإثبات الكرامات، ومناقشة المخالفين في العقائد، وغير ذلك من أمهات المسائل التي لا غنى عن معرفتها، وهي معروضة وفق منهج علمي قائم على استعراض الأدلة، وتفنيد آراء المخالفين بموضوعية ومناقشتها بمنهج جدلي يقوم على التمحيص ويهدف إلى الإقناع بمخاطبة العقول والأفهام.

فكيف مع هذا كله يُراد من المسلمين التحول من عقائدهم بواحاتها



الفسيحة وآفاقها الرحبة التي ينفردون بها إلى ثقافات غيرهم من الأمم تقليدًا ومتابعة ، بأفكارها المحدودة وتصوراتها الضيقة المصطبغة بالوثنيات ؟

بل كيف يُعقل التحول من اتباع خاتم الأنبياء ﷺ إلى اتباع فلاسفة اليونان والتابعين لهم من المعاصرين الجاهلين بحقائق الألوهية بله الإنسانية ؟ أي أولئك الذين (خبطوا خبط عشواء فيما يتعلق بذات الله وصفاته ، وكان عمادهم في ذلك الظن والتخمين ، والخرص والترجيم دون استناد إلى توجيه سديد وإشراقة مستقيمة ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٠]. ولا تقل فلسفتهم وإلهياتهم التي دوّنها حكماؤهم وفلاسفتهم طرافة وخرافة عن أساطير الشرق وألاعيبها وأعاجيبها ، وقد تلمح في أقوال سقراط وأفلاطون – دون أرسطو – وتعليمات فلاسفة الأخلاق أثارة من تعاليم الأنبياء لمعان البراعة في الليلة المطيرة الشاتية ، مما يدل على أن تعاليم الأنبياء قد طرقت آذانهم في حين من الأحيان ، لكن هذا النور لم يكن من السطوع والثبات بحيث يمكنهم أن يعولوا عليه في دياجير الحياة ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ [البقرة : ٢٠] [١] .

الإنسان : مكانته ومبدؤه ومصيره في العقيدة الإسلامية :

يرى المتدبر للقرآن الكريم عنايته بالإنسان بالحديث عن أصل خلقه وأطواره والحكمة من خلقه ومصيره في الآخرة ، كذلك أمره ونهيه وبيان الحلال والحرام وتعريفه بربه ﷻ وتحذيره من عدوه الشيطان ، إلى غير ذلك من عظائم الأمور التي تتناول الإنسان من كافة الجوانب .

---

(١) الإسلام في عالم متغير ، للإمام أبي الحسن الندوي صـ ٧١ .

ترجمة علي عثمان – ط دار مكتبة الحياة – بيروت ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .



وما يدعو للاهتمام فيما نحن بصدده نقطة البداية في الخلق وبيان القرآن الحكيم لأصل الفطرة وطبيعتها، وأن الإنسان خلق عارفًا لربه تعالى موحدًا إياه ﷻ.

كذلك تلمت الآيات القرآنية في سور شتى أنظارنا إلى أصل خلق الإنسان لنقف على هذه الحقيقة المذهلة، وهي كوننا مخلوقين من نطفة فعلقة فمضغة ... إلخ ... ثم الموت والنشأة الآخرة.

ومن هذه الآيات ما ورد في سورة (المؤمنون): قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون ١٢-١٦].

ألا يدعونا ذلك إلى التفكير والتدبر، ثم يصبح رادعًا ووازعًا عن التكبر، ومن ثَمَّ ينبغي على الإنسان أن يسلك السلوك المتوافق مع حقيقته كمخلوق مصنوع مربوب، فيخضع مختارًا لربه ﷻ في حياته كلها، ويستخدم قدراته ومواهبه العقلية والجسمية فيما خلق من أجله فتتحقق سعادته وسعادة المجتمع الإنساني كله؟

وهذه في الحقيقة هي مهمة الأمة الإسلامية على مدى العصور، كانت تؤديها عندما كانت مقاليد الأمور بيدها، وهي مطالبة باستردادها لاستئناف دورها من جديد ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴾ [البقرة: ١٤٣].

كذلك نلاحظ أيضًا نداء القرآن الكريم للإنسان (يا بني آدم) لتذكيره بفطرته،



والميثاق ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣] .

وأنه مخلوق مربوب ، خُلق بعد أن لم يكن ، وأنه في حاجة دائمًا إلى ربه ﷻ ، حيث أنه سبحانه هو الذي أنعم عليه بالحياة ابتداءً بالخلق ، وهو الذي يمده بالنعم التي تجعل حياته باقية ، وممتعة .

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ [الواقعة : ٥٨ : ٧٢] .

وتتميز هذه (الآيات) القرآنية بأنها لا تخاطب العقل وحده أو العاطفة وحدها ولكنها تتجه إليهما معًا فتؤدي إلى الاقتناع العقلي وتغذي العاطفة والروح معًا لمن أزاح عن نفسه قيود التقليد للثقافات الأخرى !

إننا إذن ننفرد كأمة إسلامية بتصوراتنا الخاصة ، وفي كتب العقائد ما يشبع تطلعات القارئ إلى معرفة الإجابة على كل ما يدور في خلده من تساؤلات .

ولضيق المقام ، ولعدم الخروج عن غرض الكتاب ، نكتفي بإعطاء القارئ فكرة موجزة مستمدة من أحد علمائنا - وهو الراغب الأصفهاني (٤٠٢ هـ) الذي انكب على القرآن الحكيم مستقرئًا دورة حياة الإنسان المتكاملة .



الغرض من خلق الإنسان :

يرى الراغب الأصفهاني استنادًا إلى الآيات القرآنية أن للإنسان ثلاثة أفعال تختص به وهي :

١ – عمارة الأرض المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ لتحصيل المعاش لنفسه ولغيره .

٢ – خلافته ﷻ المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ .

٣ – عبادته المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي الامتثال لله ﷻ في عبادته وفي أوامره ونواهيه [(١)] .

ويعنينا توضيح معنى العبادة لما لها من صلة بالفطرة الإنسانية التي خلق بها بنو آدم ، ثم معرفة وظيفتها وحاجتنا إليها .

إن العبادة هي (فعل اختياري مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية يُراد بها التقرب إلى الله تعالى طاعة للشريعة) أما دورها فهو المحافظة على الفطرة التي خلق بها الإنسان المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٠] .

وهذا التعريف العام للعبادة يحتاج تفصيل :

فإذا قدّمنا شرحًا مختصرًا عن وظائف الصلاة مثلًا في الدنيا ، فبغرض إثبات أنها وغيرها من العبادات في الإسلام ، لها معانيها ومقاصدها وضرورتها اللازمة

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة صـ١٨ ، ط مكتبة الكليات الأزهرية – مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف سعد (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م) .



للمسلم على مدى العصور (فهي ليست من قبيل التقاليد والعادات المنافية للعصر كما يظن أعداء التراث الإسلامي) .

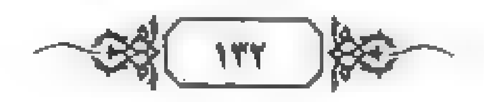
كذلك فإن علماءنا بحثوها بعقول متفتحة وقلوب واعية ، وخلاصة ما ذهبوا إليه أنها تذكّر الإنسان أولًا بعبوديته لله تعالى – لا لغيره ، ثم توقظ في وعيه ثانيًا أن الحياة الحقيقة الخالدة هي حياة الآخرة في الجنّة حيث يجد هناك – بفضل الله وكرمه – حصاد ما زرعه هنا ، وهي ثالثًا سلاحه القوي في معركته مع الشيطان عدوّه اللدود ، أي لها فوائد أخروية وفوائد دنيوية .

وسنختار نموذجين من آراء العلماء ، أحدهما لوحيد الدين خان – أحد العلماء التجريبيين المعاصرين بالهند – وهو يصور لنا طرفًا من هذه العايات بقوله : (فالسعي فورًا إلى الصلاة – أي عندما يرتفع صوت « حي على الصلاة » إنما هو إعلان وإظهار على أن الإنسان يعطي المقام الأول في حياته لله فقط ، ومن لم يفعل هكذا فهو كمن يعلن أنه يشرك مع الله أشياء أخرى ، فهو إما أن يكون ضحية للبلادة وعدم الإحساس ، وإما أنه ضحية لمشاغل أخرى احتلت في حياته المقام الذي يجب أن يعطيه لله – تعالى – أساسًا) [1] .

وفي شرح الحديث الذي رواه مسلم : (من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء ، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم) ، يرى وحيد الدين خان أن المسلم حين يلبي نداء صلاة الفجر فيذهب ليؤديها في بيت من بيوت الله ، فإنه بهذا السلوك (يعلن عن نيته في أنه سيبذل كل جهوده وسيقضي أوقاته في سبيل تحقيق النجاح والفلاح في الآخرة ،

---

(١) الإنسان القرآني صـ ٣٧ ترجمة د/ سمير عبد الحميد إبراهيم ، دار الصحوة بمصر ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م .



وأنه سوف يقضي يومه في عبادة الله ومن لم يجب النداء الإلهي فإنما يسلم نفسه للشيطان عدو الإنسان)[1] .

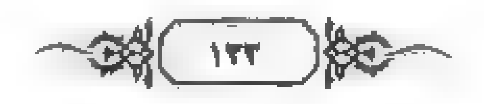
ثم نورد بيان أحد علمائنا المعروفين في علم (أصول الفقه) ، يقول الشاطبي : (فالصلاة : مثلًا أصل مشروعيتها الخضوع لله سبحانه بإخلاص التوجه إليه ، والانتصاب على قدم الذلة والصغار بين يديه ، وتذكير النفس بالذكر له . قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ وقال : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴾ وفي الحديث : « إن المصلي يناجي ربه » . ثم إن لها مقاصد تابعة ، كالنهي عن الفحشاء والمنكر ، والاستراحة إليها من أنكاد الدنيا ، وفي الخبر « أرحنا بها يا بلال » وفي الصحيح « وجعلت قرة عيني في الصلاة » وطلب الرزق بها ، قال الله تعالى : ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَ ﴾ ، وفي الحديث تفسير هذا المعنى .

وروى عن النبي ﷺ : « أنه كان إذا اضطر أهله إلى فضل الله ورزقه أمرهم بالصلاة » لأجل هذه الآية . فهذه صلاة يستمنح بها ما عند الله .

وانجاح الحاجات كصلاة الاستخارة وصلاة الحاجة وطلب الفوز بالجنة والنجاة من النار ، وهي الفائدة العامة الخالصة .

وكون المصلي في خفارة الله ، ففي الحديث : « من صلى الصبح لم يزل في ذمة الله » ونيل شرف المنازل ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن

(١) المرجع السابق صـ ٣٨ ويصوّر المسلم الذي لا يصلي صلاة الصبح في جماعة بأنه وضع نفسه في الخطر الذي توعده الله به وهو أن يخلع الله عنه رداء عونه ومساعدته ولن يبقى له أي ملاذ أو ملجأ إلا أن يجد نفسه يواجه الشيطان بمفرده .



﴿ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ فأعطى بقيام الليل المقام المحمود .

وفي الصيام سد مسالك الشيطان والدخول من باب الريان ، والاستعانة على التحصن في العزبة ، وفي الحديث : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج » ثم قال : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » وقال : « الصيام جنة » وقال : « ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان » .

وكذلك سائر العبادات فيها فوائد أخروية وهي العامة ، وفوائد دنيوية وهي كلها تابعة للفائدة الأصلية ، وهي الانقياد والخضوع لله كما تقدم) [1] .

أما عن مصير الإنسان فإن الراغب يرى أن الإنسان في دنياه مسافر ، ويتخذ الدليل على ذلك من قصة الخلق إذ قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ، مستشهدًا بتفسير علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « الناس على سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر ، وبطن أمه مبدأ سفره والآخرة مقصده وزمان حياته مقدار مسافته وسنوه منازله ، وشهوده فراسخه ، وأيامه أمياله ، وأنفاسه خطاياه ، يسد به سير السفينة براكبها » [2] .

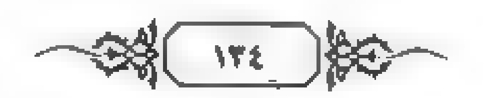
فالغاية للإنسان ينبغي أن تكون دار السلام ، ويحتاج في حياته إلى التزود

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحق الشاطبي جـ٢ صـ ٧٩٠ دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

وينظر كتاب (الأركان الأربعة) للعلامة أبي الحسن الندوي حيث شرح المعاني الدينية والمقاصد الشرعية للعبادات (ط دار القلم - الكويت) ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م في غير خضوع للفلسفات السياسية والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية السائدة هادفًا إلى تكوين المزاج الإسلامي السوي ، والحرص على استمساك الأمة بذاتيتها .

(٢) الذريعة صـ ٩



للسفر ، وهو في كدح وكبد ما لم ينته إلى دار القرار كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الإنشقاق : ٦] .

إن الحكيم الأصفهاني يصور الإنسان في حركة دائمة ساعيًا نحو غايته ، فهو على سفر ، ومقصده الدار الآخرة حيث تتحقق له السعادة الدائمة ، فالحديث « سافروا تغنموا » يحث على التحريك الذي يثمر جنة المأوى ومصاحبة الملأ الأعلى ومجاورة الله تعالى وكلها أسمى الغايات ، ولكن الإنسان في سعيه هذا يحتاج إلى خمسة أشياء : معرفة المعبود المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، ومعرفة الطريق المشار إليه ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ وتحصيل الزاد المتبلغ به المشار إليه بقوله : ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ ، والمجاهدة في الوصول كما قال تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ وبهذه الأشياء يأمن الإنسان الغرور الذي خوفه الله تعالى منه في قوله ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [1] .

الإيمان بالغيب والعصر :

لكي نضع الأمور في نصابها في قضية الإيمان بالغيبيات التي يجحدها الماركسيون والوضعيون المعاصرون ، فينبغي توضيح أن المسلم الذي يؤمن بالغيب أكثر علمًا أولًا وأوسع آفاقًا وأرحب تصورًا للوجود ، وهو ثانيًا أسعد حالًا من الماركسي أو الفيلسوف الوضعي حيث حبس كل منهما نطاق معرفته داخل التصورات المحسوسة المادية ، لأنه في حقيقة الأمر (رجعي) بالمقياس

---

(١) الذريعة صـ ٣٥ .

وللاستزادة ينظر كتابنا (مناهج البحث في العلوم الإسلامية) ١٧٩ / ١٩٨ ط مكتبة الزهراء بعابدين – القاهرة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .



الإسلامي لأنه حدد معارفه بنطاق قوانين مداركه المحدودة ومجالات الحس الضيقة لا يتعداها ، بينما المخلوقات أكبر وأعظم من أن تحيط بها العقول ، وتثبت الاكتشافات العلمية كل ما يبهر ويذهل يومًا بعد يوم .

أما المسلم ، فقد انفسحت أمامه المعارف عن كل ما غاب عن حسه من عالم الغيب استمدها من مصادر موثقة بمنهج علمي دقيق ، سواء كان مصدره كتاب الله ﷻ أو سنة الرسول ﷺ ، ومن ثمّ تُصاغ حياته وفق عقائده ومعارفه عن هذا العالم الغيبي ، لأنه علم بتفاصيله منذ لحظات موته إلى مصيره النهائي الذي يتحدد وفق أعماله ويحاسب عليها بدقة متناهية ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧-٨] .

كذلك تتحقق له الحياة الطيبة عمليًا في ضوء إيمانه بالقدر على الوجه الصحيح فلا يهتز أمام الفواجع ، ولا تحطمه الكوارث ، بل يصبر أمامها ويحتسب ويصمد كما تصمد الشجرة الثابتة الجذور أمام العواصف ، فربما تهتز وتتمايل لقوة الرياح وسرعتها ، ولكنها سرعان ما تعود إلى وضعها الثابت لأن الجذع ظل ثابتًا شامخًا !

ومن هنا يعرف المسلم أنه مبتلى في حياته الدنيوية المؤقتة ، فإذا صبر عليها واحتسب ، فسرعان ما تمضي وتتبدّل إلى حسنات في ميزانه بالحياة الآخرة الخالدة ، وهو يعلم أن الله تعالى سيبدل عسره يسرًا ، لذلك فإنه يتطلع دائمًا إلى المستقبل الأفضل ، فتهون عليه مصائب الدنيا ، لأن جنة الله ﷻ غالية عالية .

آثار الإيمان بالغيب :

ونحن نأمل أيضًا في إقناع الذين يربطون العقائد بآثارها ونتائجها ، فإن الإيمان بالغيب أيضًا له دوره وفاعليته وهو يدفع بالمؤمنين إلى تخطي عقبات

وحواجز يظن (الوضعيون الحسيون) أنها أشبه بالمستحيلات !

لقد ظهر دور الإيمان بالغيبيات كأظهر ما يكون في حياة الصحابة والمسلمين الأوائل ، وتكرر بصورة متطابقة مع المسلمين الذين خاضوا المعارك تلو المعارك لهداية البشر وجعل كلمة الله هي العليا ، ولم يهزموا – كما يحكي لنا التاريخ – إلا بسبب المعاصي كما حدث في موقعة أحد (وهناك أمثلة في واقعنا المعاصر) أو بسبب القصور – وهو من صميم الطبيعة البشرية [(١)] .

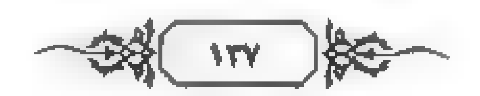
ولا ننسى انتصار المجاهدين الأفغان في عصرنا الحاضر على الظلم الروسي الرهيب حيث قاوموا ببسالة منقطعة النظير ما أراده الروس بالأفغان ، حيث سعوْا لإبادة شعب (ليزرعوا على أنقاضه مذهبهم الكافر غير الإنساني ، ويزعمون مع ذلك أنهم دعاة عدل وحضارة وسلام) ! [(٢)] .

وهذا يتدرج بنا أيضًا إلى العامل الرئيسي والأول في تعليل اليقظة الإسلامية المعاصرة ، وهو ما لا يقدّره المراقبون والمحللون من غير المسلمين ، وهو الإيمان بالله تعالى ومدى قوته ونفوذه وسلطانه على قلوب المسلمين ونفوسهم ، وشوقهم إلى الرجوع إلى ربهم ﷻ لأنه ناصرهم ومؤيدهم ورازقهم فضلًا عن أنه خالقهم ، لعله ينصرهم إذا استمسكوا بميثاقه وأطاعوه فيما أمرهم به ، وانتهوا عما نهاهم عنه !

---

(١) يقول د/ فيليب حتّي (إن العربيين الذين كانوا قد أصبحوا على بعد ألوف من الأميال عن مراكز إمداداتهم ، ثم لم يكونوا ذوي خبرة بالأرض التي يحاربون عليها ، ولا كان فيهم الاستعداد لاحتمال هجمة الشتاء القارس وقف زحفهم وقوفًا طبيعيًا ، ثم قرروا الانسحاب . ذلك كان نطاق الانتصار الذي هلل له المؤرخون الغربيون على أنه إحدى المعارك الحاسمة في التاريخ (موقعة شارل مارتل – وكان المسلمون بقيادة عبد الرحمن الغافقي) . صـ ١٧٢ من كتابه (الإسلام منهج حياة) ترجمة د/ عمر فروخ ط دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٨٣ م .

(٢) الإسلام حضارة صـ ١٧٥ د/ حسين مؤنس الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .



الإسلام والفلسفة :

يتبين لنا مما تقدم أن لدينا من المعارف والعلوم من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ما يغنينا عن الالتجاء إلى أية فلسفات وثقافات أخرى من تصورات البشر ، هي أقرب إلى التخمينات منها إلى الحقائق والوقائع الصحيحة .

وعندئذ تُثار الصلة بين الإسلام والفلسفة ، ونرى أنه أول ما يجب تحديده قبل تقرير نتيجة البحث هو التمييز بين تعريفين :

احدهما تعريف الفلسفة بأنها نتاج ثقافي غربي ممتد منذ الأجداد اليونان إلى العصر الحديث .

والثاني أساليب العقل المنطقية التي يعتمد عليها الإنسان في الإدراك والفهم والاستنباط وغير ذلك من العمليات الذهنية .

ولا ينبغي الخلط بين التعريفين .

ونضيف هاهنا أيضًا ما اقترحناه من قبل بكتابنا (الإسلام والمذاهب الفلسفية) بضرورة اتخاذ منهج آخر في الدراسة ، وقلنا هناك :

(فقد آلينا على أنفسنا الالتزام بالمنهج المقارن والاطلال على الفلسفات من نافذة واسعة ، تتسع لرؤية شاملة لتاريخ وحضارات الأمم بدلًا من النافذة الضيقة التي ألجأنا إليها المستشرقون – في عهد مضى وانقضى – لكي نضطر إلى الدخول في دائرة الصيغة الضيّقة التي وضعوها في شكل سؤال اصطنعوه اصطناعًا وهو ، (هل في الإسلام فلسفة) ؟ أو : هل استطاع المسلمون إبداع فلسفة ؟

ونقول : إنهم اصطنعوا هذا السؤال اصطناعًا لأنهم صاغوه وفق ثقافتهم

ونظراتهم المتعالية المعتزة بالعنصر الآري دون غيره من أجناس البشر، وكانوا يقصدون بالفلسفة، التفلسف على نمط فلسفتهم الغربية، أو فلسفة أجدادهم اليونان بوجه خاص ..

إن السؤال الصحيح في هذا الغرض ينبغي صياغته في شكل آخر مخالف تمامًا، وهو هل الإسلام يخاطب (العقل) ويأتي بالبراهين الدالة على كماله أو لا ؟ [١].

ونضيف بأن استخدام المنهج المفروض علينا يُعدّ لونًا من (الاستقطاب الفكري) [٢] الذي يهدف إلى مسخ الهوية وفرض التبعية .

ولا يقتصر الأمر على ضرورة تغيير منهج دراسة الفكر الفلسفي، بل ينبغي اتباع ذلك في باقي العلوم الإنسانية – كالاجتماع والسياسة والنفس والأخلاق والتربية – بدلًا من استخدام المناهج الغربية، فإن الاستقلال بالمنهج أصبح ضروريًا بعد تجاربنا مع الغرب حيث أخضع هذه العلوم لمقاييسه وقيمه الخاصة، ثم النظر إلينا من موقع الاستعلاء حيث يضعون النموذج الأوروبي (والتجربة الأوروبية في قمة التطور وإعطائها الصبغة النموذجية المثالية) [٣] .

---

(١) مقدمة كتابنا (الإسلام والمذاهب الفلسفية) طـ دار الدعوة بالإسكندرية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

(٢) يعرّف الأستاذ جمال سلطان (الاستقطاب الفكري) بأنه ارتباط فاعليات الحضارية في شقها الفكري الإبداعي، بالطرح الاستشراقي لقضايا ومشكلات الفكر الإسلامي .. ويؤدي في النهاية إلى قولبة قضية الإسلام، من خلال القوالب المنهجية والفكرية، التي صاغها الفكر الأوروبي، فتصبح «رسالة الإسلام» عبارة عن (ملحقات) أو – بالضبط – تذييلات فكرية على القضايا التي يفجرها العقل الأوروبي .

ينظر مقاله القيم بعنوان (الاستقطاب الفكري ومأزق الإرث الاستشراقي) بمجلة منار الإسلام – قطر جمادى الآخر ١٤٠٩ هـ / ١١ يناير سنة ١٩٨٩ م من صـ ٩٥ إلى صـ ١٠٠ .

(٣) من مقال (الحياة الاجتماعية كما صورها بعض المستشرقين) صـ ١٥٥ للدكتور عبد الوهاب أبو حديبة كتاب (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية – الجزء الثاني – طـ مكتب التربية العربي لدول =



رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة في كل العصور:

ويأتي مسك الختام بالحديث عن صلة اتباع الرسول ﷺ بالعصرية والمعاصرة، فنقول:

إن المسلمين كافة مطالبون بالتأسي بالرسول ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة ٦]، على مدى العصور كلها حتى قيام الساعة، وهو وحده الأسوة الحسنة حيًّا وميتًا، فلم تنقض سنته بموته، لأنهم مأمورون بطاعته طاعة مطلقة غير مقيدة بمكان أو زمان ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال ١]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران ٣١].

ولا يتعارض ذلك مطلقًا مع العصرية، لأن الاقتداء به يتصل بعقائد الإنسان المسلم وعباداته وسلوكياته كإنسان يحتاج إلى أسوة في طريق اجتيازه لحياته الدنيوية (فالحوافز الإنسانية لم تزل نفسها اليوم كما كانت منذ فجر الحضارة الإنسانية، فالغرائز التي هي محور عمل الإنسان لم تزل باقية كما كانت بالرغم من

الخليج الرياض ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

ويلفت نظرنا الدكتور عبد الوهاب إلى حقيقة أخرى ربما غابت عن الكثيرين، وهي أن علماء الاجتماع الفرنسيين جعلوا منه بابًا من أهم أبواب (العلوم الاستعمارية) من حيث موضوعه حيث ينظر إلى مشاكل المجتمعات المستولى عليها ومن حيث أهدافه حيث كان يخدم مصالح الأمبراطورية الفرنسية (صـ ١٤٤) ويعلل الباحث شأنه إلى ما اتضح للاستعمار من أن الشعوب الإسلامية المغلوبة المهزومة عسكريًا لم تخضع ذهنيًا وعقليًا لسيطرة الغرب عليها، بل اتجهت تبحث في ثقافتها ماضيًا وحاضرًا عن مقومات لتجديد حظر الاحتلال، وعندئذ وضع (ريني موني) مشروعًا باسم (علم الاجتماع الجزائري) للتعرف على حياة الشعوب الجزائرية، صـ ١٤٢ / ١٤٣.

وشهادة الدكتور عبد الوهاب لها وزنها لأنه من كبار المتخصصين في هذا الشأن حيث يعمل مديرًا لمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس.



أن مجال النشاط الإنساني قد اتسع ، وصفات الإيثار والشرف والصدق والشجاعة المستحبة تنال من الاحترام اليوم ما كانت تناله منذ القدم) [1] .

وحسمًا للمناقشة والجدل في هذا الصدد ، فإننا سنتحدث عن التجربة الشخصية وأصدائها في النفس ، فنقول ، وبالله التوفيق :

إنني عندما أتبعه – بأبي هو وأمي – فلا أظن ولا يخطر ببالي ، ولا أشعر ، أنني أعود إلى ماضٍ بعيد أختار منه إنسانًا أحاكيه ، كلا ، فإن الذي يحدث بالضبط هو أنني أتمثل سيرته بذاكرتي ، وأجمع محبته في قلبي وبين جوانحي ، فأصلّ عليه وأسلّم ، فيسهل عليّ متابعته منقادًا طائعًا بغبطة وسعادة لأنه الهادي إلى الطريق المستقيم ، ﷺ .

إن سيرته ﷺ كاملة شاملة ، فلا أحتاج إلى غيره للاقتداء به ، لأنه أوضح كل ما يعنّ لي من حاجات حيث يدلني فيما أريد معرفته والعمل به ، ابتداءً من العقيدة إلى العبادات والمعاملات والأخلاق [2] .

---

(١) تفسير التاريخ صـ١٤٥ عبد الحميد صديقي ترجمة د/ كاظم الجوادي . طـ دار القلم بالكويت ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م .

(٢) يقول القاضي عياض (ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ، وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله ، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ... ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرارها ... إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضّل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئًا إلا من جهة الخذلان ... إلخ .

القاضي عياض : (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) جـ١ صـ٢٩٦ / ٢٩٧ مكتبة دار التراث بالقاهرة نسخة مصورة عن المطبعة العثمانية سنة ١٣١٢ هـ .

إنه ﷺ يعلمني كيف أعبد ربي ﷻ : أذكره في كل الأحوال قائمًا وقاعدًا ، أصلّي وأصوم وأزكيّ وأحج وأفعل الخيرات وأترك المنكرات . كيف أبيع وأشتري وأعامل الأهل والأولاد والأصدقاء ، كيف أسعى لتحصيل الرزق ، كيف اتقبل صنوف آلام الحياة أثناء اجتيازي لدروبها المتشبعة بالصبر والمصابرة واليقين والتوكّل والرجاء وغيرها من أعمال القلوب ..

وهكذا ، وهكذا .. كيف أمضي حياتي كإنسان يجمع في كيانه بين الروح والجسد سعيًا وراء الغاية العظمى والهدف الأسمى : (ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنّة) .



الفصل التاسع

آفاق المستقبل

آفاق المستقبل بمشيئة الله تعالى

بعد النظرة التاريخية الموجزة التي استخلصت منها أن الأمة الإسلامية ظلت قائمة بخصائصها الجوهرية ، وتؤدي دورها بصورة أو بأخرى سواء انحصرت في ظل (طائفة ظاهرة على الحق) أو في (خلافة راشدة) في العصور الأولى ، أو خلافة عثمانية في العصور الحديثة .

الحقيقة المؤكدة أن الإسلام لم يكن قط ، كما يقول مكسيم رودنسون مختصرًا .

وفي ضوء هذه الحقيقة التاريخية فلا يجب أن تفاجئنا أو تدهشنا **الصحوة الإسلامية المعاصرة** ، لأنها حلقة من الحلقات التي وقفت بها الأمة إزاء كل التحديات وقاومت بها كل السهام إليها طوال الأزمنة أثناء الخلافة الراشدة الموحدة ، وفي ظل الخلافة المتشعبة إلى ولايات وإمارات في عصر الخلافة العباسية ، وموحدة مرة أخرى في الخلافة العثمانية ، التي بقيت حريصة حتى في أواخر أيامها وضعفها على المحافظة على كيان الأمة ومقاومة الحروب الأوروبية التي لم تنقطع لغزو بلاد الإسلام .

ولا ينبغي النظر بدهشة إلى الصحوة الإسلامية المعاصرة كما فعل بعض المعلقين والمحللين الأجانب الذين يفتقدون وسائل الإدراك الصحيحة للإسلام وأثره كعقيدة في نفوس المسلمين تظل نابضة بالحياة ومؤثرة ، لأن الوحي الإلهي وإن انقطع بموت الرسول ﷺ ، إلا أنه بقي محفوظًا بجدّته وأصالته في القرآن والسنة .

إن هذه الصحوة – كما يقرر الأستاذ الدكتور عبد الملك عودة – هي (حلقة

معاصرة في سلسلة المواجهة التاريخية بين الشعوب والمجتمعات الإسلامية وبين الحكومات الاستعمارية الأجنبية) .

النظرة المستقبلية :

يقول الدكتور حامد ربيع الأستاذ بكلية العلوم السياسية والاقتصادية بجامعة القاهرة :

(يسلم جميع علماء التحليل السياسي بأنه في نهاية القرن العشرين سوف يصير الدين الإسلامي إحدى القوى الأساسية المحركة للوجود السياسي . ومرد ذلك يعود إلى عاملين :

العامل الأول : يرتبط بعودة الدين إلى أن يصير متغيرًا أساسيًا في السلوك السياسي وفي الصراع السياسي بصفة عامة .

العامل الثاني : يرتبط بحلول الكم موضع الكيف في تقييم القوى السياسية التي سوف تتحكم في الصراع الدولي) .

يسلم بهذا المؤرخ (وات) صاحب الأبحاث الرائدة في تاريخ الحضارة الإسلامية [1] .

ويؤكد هذه النظرة بناء على ما استنبطه من التقرير المشهور **لمعهد هوفر الأمريكي** والمتعلق بتخطيط السياسة العالمية ابتداء من نهاية القرن العشرين .

وترتبط هذه التوقعات بملاحظات ثلاث يراها الدكتور حامد ربيع وهي :

الأولى : نهاية أو فشل الإيديولوجيات السياسية المتمركزة في خمسة مفاهيم

---

(1) د. حامد ربيع : سلوك المالك في تدبير الممالك جـ ١ صـ ١٨٢ دار الشعب ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .



أساسية : الديمقراطية ، الماركسية ، الشيوعية ، النقابية ، النازية .

الثانية : يقابل نهاية الأيديولوجيات تأكيد مستمر وثابت على أهمية العامل المعنوي في الوجود السياسي ، أي الدين .

ويقرر بسخرية لاذعة أنه إذا كانت الدولة لا تزال تتمسك بتلك الأكذوبة الكبرى التي قدمتها إلينا الثورة الفرنسية بما أسمته مبدأ (اللادينية) ، فقد بات واضحًا ان هناك هوة سحيقة بين الدولة بمفاهيمها التقليدية والفرد أو المواطن بأحاسيسه ومشاعره الروحية ، هذه الهوة لا يمكن تخطيها إلا من منطلق العودة إلى المفاهيم الدينية أيضًا على مستوى الجماعة السياسية [1] .

والملحوظة الثالثة تتصل بدور الدين بمؤسساته الكبرى في الغرب في مسارات التعامل في النطاق الدولي ، حيث يتضح دور الفاتيكان المؤثر في الضغط على الدول الكاثوليكية ، وأثره في حركات المقاومة والإعلام الديني بما في ذلك الاتحاد السوفيتي .

كذلك **الصهيونية** التي يساندها النفوذ الكهنوتي وتتعاطف معها قوى الكنيسة في جميع أجزاء العالم .

كذلك تؤكد الأبحاث المستقبلية أن القوى ذات الطابع الإسلامي بمعنى الانتماء إلى العقيدة الإسلامية سوف يقدر لها خلال الأعوام الأخيرة من القرن الحالي نوع من الإيناع والإزدهار الكمي والكيفي في آن واحد [2] .

ويتضمن تقرير معهد **هوفر** أيضًا بيانًا عن تطور معين في المجتمع الأمريكي

---

(١) سلوك المالك في تدبير الممالك جـ ١ صـ ١٨٣ / ١٨٤ تعليقات الدكتور حامد ربيع .

(٢) المرجع السابق صـ ١٨٣ .



نحو تضخيم وزيادة قوة ما يسمى بالمسلم الأسود وبصفة خاصة في نطاق قيادات ذلك الشطر من المجتمع الأمريكي . ويقابل ذلك تطور مماثل في المجتمع الروسي بصورة أكثر خطورة وتتوقع الإحصائيات ازديادًا كميًا خطيرًا حيث تصل نسبة المسلمين في أوائل القرن المقبل إلى ٤٠٪ في المجتمع الكلي [(١)] .

الأمة : بقاؤها واستمرارها :

وعلى مستوى التنظير السياسي تقرر الدكتورة منى أبو الفضل في بحثها المبتكر عن السمات البارزة للأمة الإسلامية حيث تنفرد بالخصائص الآتية :

١ – أن الرسول ﷺ قد خلف وراءه عند وفاته أمة - قبل أن يخلف إمامًا - وأنه لو لم تكن الأمة لما وجد من يؤمها وبالتالي فإن وجود الإمام وجود منسوب أو مشتق والأمة أو الجماعة تصير هي الأصل .

٢ – أن الأمة بهذا المعنى تصير هي المستودع للرسالة المحمدية ، أي أن الأمة هي وعاء القرآن الكريم .

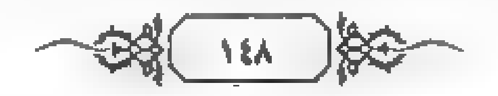
٣ – بقاء الأمة مرتبط بالعلة وليس بالمعلول ، أي أن أمة القرآن باقية ببقاء الذكر الحكيم [(٢)] . قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

وستبقى الأمة بمشيئة الله تعالى حتى قيام الساعة لأنها الشاهدة على باقي الأمم ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

---

(١) المرجع السابق صـ ١٨٣ .

(٢) د. منى أبو الفضل (مفهوم الأمة في الإسلام من دلالات اليقظة الإسلامية المعاصرة) صـ ٣ بحث في ندوة النظرية السياسية في الإسلام بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ٥ ، ٦ مايو سنة ١٩٨١ م



وفي ضوء ذلك كله يحق لنا التوقع بأن تكون حضارة الإسلام هي حضارة المستقبل بمشيئة الله تعالى ، لا الحضارة المعاصرة بجناحيها الشرقي والغربي كما يرى أصحاب الاتجاه التغريبي والماركسي .

ولكننا نتحفظ في توقعاتنا حتى لا تركن فصائل الصحوة الإسلامية إلى الاسترخاء بل نريد فقط بث روح التفاؤل الباعثة على الصبر والمصابرة والعمل الجاد كلٌّ في ميدانه تنفيذًا لسنن الله تعالى التي تحققت طوال تاريخنا عندما أخذ أجدادنا بأسباب النصر!

وبعد هذا التحفظ الذي لابد منه ، نرى ضرورة مناقشة أحد الباحثين الملتزمين بالتفسير الماركسي فيما ذهب إليه من توقعات نخالفه فيها ، إذ لا نعتقد أن باحثًا مستوعبًا لمتغيرات العصر يمكنه إغفال آثار الصحوة الإسلامية على كلا الكتلتين الشرقية والغربية ، فإذا تقرر أن (هزيمة الولايات المتحدة في فيتنام سنة ١٩٧٣م كشفت حدود القوة الأمريكية ، وأكدت أن نهاية العصر الأمريكي بدأت فعلًا ، وأن الحضارة المستقبلية الصاعدة هي الحضارة الإشتراكية) [1] ، فإننا نرى أن مثل هذا التقرير الوارد في صيغة مؤكدة تزعزعه التغييرات الجذرية في النظام الاشتراكي (أو الشيوعي) على ضوء « البريسترويكا » ويتعمد استبعاده كعنصر تغيير يطيح بالنتيجة المتوقعة ويبعدها عن نطاق الاحتمال أنه من قبيل خداع النفس أن نمرّ مر الكرام على الحركة الإصلاحية لجورباتشوف في المنعطفات الرئيسية لطريق النظام الماركسي التي تصل إلى حد الثورة على أحد الثوابت في الفلسفة

---

(١) سمير أمين : التطور اللامتكافئ ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٠ صـ ٣٩٤ نقلًا عن (العالم المعاصر والصراعات الدولية) للدكتور عبد الخالق عبد الله صـ ٢٧ . ط عالم الكتب بالكويت العدد رقم ١٣٣ جمادى الأولى سنة ١٤٠٩ هـ يناير سنة ١٩٨٩ م .

الماركسية ذاتها ونعني به الإطاحة بفكرة الملكية العامة تدريجيًا لاسيما في مجال الزراعة.

وحتى إذا أمكن تجاهل أحداث المجر وتشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٦ م فلا يسع أحد أن يغفل الزلزال الذي هز الكيان الروس السياسي والاجتماعي ونقصد به انتصار المجاهدين الأفغان الذي سيتبعه مستقلًا بمشيئة الله تعالى سلسلة من التفجيرات القومية والعرقية والدينية التي بدأت بالفعل بوادرها بين إقليمي أرمينيا وأذربيجان. وربما ما تخفيه، أجهزة الإعلام السوفيتية ما هو أعظم وأخطر من ذلك بكثير!

ومن المفيد أيضًا أن نُذكِّر هذا الباحث، وغيره من الملترمين بنفس الطريقة في التفسير والتوقعات - برواية جورج أورويل «١٩٨٤م» الذي تخيّل فيه العالم عام ١٩٨٤م وقد سادته الشيوعية الشمولية سيادة تكاد تكون كاملة. ولكن جاء عام ١٩٨٤م[1] ولم تتحقق نبوءات أورويل بل اتضح منذ هذا العام أن القوى العظمى في عالم اليوم لا تستطيع أن تتحكم في الدول الصغرى، وهو الرأي الذي ذهب إليه الكاتب الإنجليزي أنتوني بيرجس حيث يقول:

(صحيح أن هناك حديثًا كثيرًا عن مناطق النفوذ، والنظم التي تدور في فلك غيرها، إلا أننا لا نشهد كتلًا كبرى طابعها المركزية وتشترك جميعها في أيديولوجيات متشابهة على النمط الذي تخيله (أورويل). إذن فأين تكمن القوة؟

(١) وانهيار الاتحاد السوفيتي كدليل [رائع] على عقم الفلسفة الماركسية (أنظر كتابنا «صحية مسلم قادم من الغرب» إسلام محمد أسد» وهناك توقعات بنفس المصير للولايات المتحدة الأمريكية، ط دار الأمل بالأسكندرية.

إن القوة الفعلية التي تقود الآلات توجد حيث البترول الإسلامي ، على الرغم من أن الشرق الأوسط لم يكن بالنسبة لأورويل إلا مجرد جزء من المنطقة التي تسكنها الأيدي العاملة الرخيصة وتتقاتل من أجلها الدول العظمى ... إن الإسلام إحدى الدول العظمى الحقيقية فهو يتمتع بأيديولوجية دينية قوية هيمن أصحابها الأولون على العالم المسيحي في العصور المظلمة ، وربما عادت لتفرض نفسها على غرب جف في عروقه الإيمان القوي المتحدّى بفضل قرارات مجمع الفاتيكان الثاني) [1] .

تم الكتاب والحمد لله ﷻ أولًا وآخرًا



(١) المسلمون قادمون أو ١٩٨٥م ، صـ ١٢ أنتوني بيرجس – الزهراء للإعلام العربي ترجمة أحمد صديق ومحمود عبد الحليم سنة ١٩٧٧م .

وهو يقصد الوثيقة التي أصدرها المجمع بعنوان (توجيهات لإقامة حوار بين المسلمين والمسيحيين) وقد دعت الوثيقة إلى تغيير الصورة التي يصور المسيحيون المسلمين عليها ، تلك الصورة البالية التي شوهتها الافتراءات والأحكام المسبقة ، واهتمت الوثيقة بالاعتراف بمظالم الماضي التي ارتكبها الغرب ذو التربية المسيحية في حق المسلمين . نفس المصدر ص ١٢ / ١٣ .

وكتاب : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (موريس بوكاي) صـ ٧ ط دار المعارف .

المراجع

- القرآن الكريم .

- الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإرادة التكامل القومي . ط . دار الموقف العربي سنة ١٩٨٢ م . د. حامد ربيع .

- الحضارة في الميزان . أرنولد توينبي . ط . الحلبي . ترجمة : أمين محمود الشريف .

- الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوربية ، مكتبة النهضة سنة ١٩٨٢ م : أوجين يونغ .

- في الفكر الإسلامي ط . سميركو سنة ١٩٨٤ م . د. إبراهيم بيومي مدكور .

- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، دار العربية بيروت ، فضيلة الشيخ محمد الراوي .

- سلوك المالك في تدبير الممالك ، جـ ١ دار الشعب ١٩٨٠ م ، د. حامد ربيع .

- ما يعد به الإسلام . روجيه جارودي ، ترجمة : قصي أناسي ، مشيل واكيم ، دار الوثبة – دمشق ١٩٨٣م.

- العالم الإسلامي المعاصر ، ط. عالم الكتب – القاهرة ، د. جمال حمدان

- حضارة العرب . جوستاف لوبون ط . الحلبي سنة ١٩٦٩م ، ترجمة : عادل زعيتر .

- معركة الإسلام والرأسمالية ، دار الشروق سنة ١٩٧٤ م ، سيد قطب .

- الحضارة في الميزان أرنولد توينبي ، ط . الحلبي ، ترجمة . أمين محمود شريف .

- حاضر العالم الإسلامي . شكيب ارسلان .

- الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، دار المعارف سنة ١٩٧٧م ، د . محمد عوض محمد .

- الصهيونية غير اليهودية . ريجينا الشريف ، ط . عالم المعرفة – الكويت ، سنة ١٩٨٥ م ، ترجمة : أحمد عبد الله عبد العزيز .

- الاستعمار كظاهرة عالمية (حول الاستعمار والامبريالية والتبعية) ، ط . عالم الكتب سنة ١٩٨٥ م ، د . حورية توفيق مجاهد .

- حاضر العالم الإسلامي . لوثروب ستودارد ، المطبعة السلفية . القاهرة ترجمة : عجاج نويهض ، سنة ١٣٤٣ هـ ، تعليق وتقديم شكيب ارسلان .

- الإسلام والاستعمار (عقيدة الترجمة العربية : دار شهدي الجهاد في التاريخ الحديث) دار التعاون مع المعهد الهولندي ، شهدي – القاهرة سنة ١٩٨٥ للآثار المصرية والبحوث العربية .

- موجز تاريخ العالم . أرنولد تويتبي ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، مونتجو مري وات ، ط . دار الشروق سنة ١٩٨٣م ، ترجمة : حسين أحمد أمين .

- انتبهوا ... البشرية في خطر ، ط . دار الشعب ، سعاد منسي .

- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . د . محمد حسين .

- محاورات برتراندرسل . برتراندرسل ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩ ، ترجمة وتقديم : جلال العشري .

- الإنسان الحديث : دراسة في مزاجه وقضاياه ط . دار الكتب جـ . وودكرتش العربي سنة ١٩٦٥ م ترجمة : بكر عباس .



- محاضرات أرنولد توينبي الدار القومية للطباعة القاهرة سنة ١٩٦٦ م ترجمة د . فؤاد زكريا .

- مع المسلمين الأوائل في نظرتهم للحياة والقيم ط . دار الدعوة . ١٩٨٩م ، د . مصطفى حلمي .

- الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر ط . دار الكتب السلفية سنة ١٩٨٦ م ، الشيخ : أحمد محمد شاكر .

- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ط . الحلبي سنة ١٩٦١م ، لابن القيم .

- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم . موريس بوكاي ، المكتب الإسلامي سنة ١٩٨٧ م ، ترجمة : الشيخ حسن خالد .

- واقعنا مستقبلنا في ضوء الإسلام، ترجمة : وحيد الدين دار الصحوة . القاهرة سنة ١٩٨٤ م . د . سمير عبد الحميد إبراهيم .

- الأصولية في العالم العربي . ريتشارد هرير دكمجيان ، ط . دار الوفاء سنة ١٩٨٩ م ، ترجمة وتعليق : عبد الوارث سعيد .

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . أبو الحسن الندوى .

- الخلافة والملك . أبو الاعلى المودودي ، ط . دار القلم . الكويت ١٩٧٨ م ، تعريب : أحمد إدريس .

- الحضارة ط . الكويت ، د . حسين مؤنس .

- عيون الأخبار ط . دار الكتب ، ابن قتيبة .

نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع من خلال القرن الرابع عشر الهجري ط . مكتبة وهبة سنة ١٩٨٠ م ، د . رشدي فكار .



- مجتمعاتنا المعاصرة والطريق إلى الإسلام ، ط . دار الصحوة سنة ١٩٨٨ م ، نور عالم خليل الأميني .

- تفسير التاريخ . عبد الحميد صديقي ، ط . دار القلم . الكويت ، ترجمة : سنة ١٩٨٠ م ، د . كاظم الجوادي .

- القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون ، ط . دار السلام . القاهرة ، شيخ الإسلام سنة ١٩٨٦ م : مصطفى صبري .

- كلمة حق ، ط . دار الكتب السلفية ١٤٠٧ هـ ، الشيخ أحمد شاكر .

- (كتاب المختار) الغرب والشرق الأوسط ، تعريب د . نبيل صبحي .

- الإسلام دين المستقبل . روجيه جارودي ، ط . دار الإيمان – بيروت ١٩٨٣م . ترجمة : عبد المجيد بارودي .

- مقدمة ابن خلدون ، ط . المكتبة التجارية بمصر ، ابن خلدون الشرق الأوسط في العصر الحديث ، ط . المكتبة التجارية سنة ١٩٣٨ م : د . حسين مؤنس .

- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني (٤٠٢ هـ) ، ط . الحلبي . سنة ١٩٦١ ، تحقيق : محمد سيد الكيلاني .

- ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ٣-٦/٦/١٤٠٥ هـ ٢٢- ٢٥/ ٢/ ١٩٨٥ م ، مكتب التربية العربي لدول الخليج . لدول الخليج للطبري .

- جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري ، ط . دار المعارف سنة ١٩٦٩ م ، تحقيق : محمود شاكر .

- الإسلام والغرب والمستقبل . ط . دار العربية بيروت ١٩٦٩ م ، ترجمة د . نبيل صبحي .



- نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي . مكتبة المتنبي سنة ١٩٨١م ، د . حسين حامد حسان .

- الإسلام ومشكلات العصر . ط . دار الكتب اللبناني ١٩٨١ م ، د . مصطفى الرافعي .

- ما بعد اللامنتمي (فلسفة المستقبل) . كولن ولسون ، ترجمة : يوسف شرور ، ط . دار الآداب بيروت ١٩٨١ م ، وعمر يمقه مع الفيلسوف ط ، دار النهضة العربية بيروت . سنة ١٩٨٠ م ، د . محمد ثابت ألفندي .

- قصة الفلسفة . ويل ديورانت ط . المكتبة الأهلية بيروت ، ترجمة : سنة ١٩٦٥ م ، أحمد الشيباني .

- الإسلام منهج حياة . ط . دار العلم للملايين سنة ١٩٨٣م ، د . عمر فروخ .

- الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله . عباس محمود العقاد ، ط . المكتبة العصرية بيروت ، سنة ١٩٧٩ م .

- الإسلام في عالم متغير . للإمام أبو الحسن الندوي ، ط . دار مكتبة الحياة بيروت ، ترجمة : سنة ١٩٨٠ م : علي عثمان .

- الذريعة في مكارم الشريعة ، ط . مكتبة الكليات الأزهرية ، مراجعة وتقديم ، سنة ١٩٧٣ م ، طه عبد الرؤوف سعد .

- الإنساني القرآني ، ترجمة : ط . دار الصحوة سنة ١٩٨٥ م . د . سمير عبد الحميد إبراهيم .

- الموافقات في أصول الشريعة ، ط . دار المعرفة – بيروت ، سنة ١٩٧٥ م لأبي إسحق الشاطبي .



- الأركان الأربعة ط . دار القلم بيروت ، للإمام أبي الحسن الندوى .

- مناهج البحث في العلوم الإسلامية ، ط . مكتبة الزهراء سنة ١٩٨٤ ، د . مصطفى حلمي .

- الإسلام والمذاهب الفلسفية ، ط . دار الدعوة سنة ١٩٨٥ م ، د . مصطفى حلمي .

- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى . القاضي عياض ، ط . مكتبة دار التراث ١٣١٢ هـ .

- (مفهوم الأمة في الإسلام من دلالات اليقظة الإسلامية المعاصرة) ، د . منى أبو الفضل .

- بحث في ندوة النظرية السياسية في الإسلام بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ٥ ، ٦ مايو سنة ١٩٨١ م .

- التطور اللامتكافئ ، ط . دار الطليعة بيروت ، سنة ١٩٨٠ م ، سمير أمين .

- المسلمون قادمون . أنتوني بيرحس ، ط . دار الزهراء سنة ١٩٧٧ م ، ترجمة : أحمد صديق ، ومحمود عبد الحليم .

فهرس


Al Amal
الأمل
www.alamal-publications.com
info@alamal-publications.com
فكرة للدعاية والإعلان. 0102029555